المناسبة بين سورتي النور والفرقان
(دراســـــة تحليـليـــــة)

د/ هند بنت محمد بن زاهد سردار
عضو هيئة التدريس بجامعة أم القرى – بمكة المكرمة -
كلية الدعوة وأصول الدين –قسم الكتاب والسنة

العام الجامعي : ١٤٣٧- ١٤٣٨هـ

المقدمـــة

الحمد لله رب العالمين، الذي خلق الانسان على افضل صورة، وكرمه وفضله على كثير من خلقه، وأنزل من التشريع ما يقوم ويربي الانسان، وصلاة وسلماً على نبيه الكريم سيدنا محمد المربي الأول وعلى آله وصحبه أجمعين إن عظمة القرآن الكريم تتجلى في وجوه كثيرة من أهمها نظمه البديع، وتناسبه الرفيع، ومازال الدارسون يولون بلاغة القرآن عنايتهم، وبذلوا جهوداً كثيرة في ابراز دلائل اعجاز القرآن الكريم، والوقوف عند اسرار نظمه، وعجائب تناسبه، ومن ابرز وجوه الإعجاز في القرآن الكريم ما عُرف بالتناسب[١].ويُمثل القرآن الكريم منبعاً ثرّاً، وفيضاً غزيراً لفنون وعلوم، وفتوح انبثّت في نظمه، وهديه، ورسمه ليبقى المعجزة الخالدة الدالة على الحق، والمدد الأسمى لمن أخلص الطلب، وتجرد للفهم والعمل؛ في ثناياه جلال من كل وجه، وفي منحه عطاءات لكلّ عصر، ولعل أدق علومه علم المناسبات القرآنية، ذلك العلم الذي يربط بين السور، والآيات، والكلمات؛ فإذا هي حبات عقد واحد، وأعضاء كائن حي، وأجزاء بنيان متصل؛ فعليه يتوقف إدراك الهدايات في أعلى صورها، وتتضح المناسبات بين أجزائها، وتبدو المرامي وأغراضها، والمقاصد التي سيق كل ذلك لأجلها[٢].وللمناسبات من الأهمية في الترابط بين السور، وفي إحكام السورة والتلاحم بين مقاطعها، وفي إبراز الموضوعات والأهداف في السورة وبيان محورها الأساس. لذا سنقف وقفات متأنية مع المناسبات في كل من سورة النورة وسورة الفرقان[٣].من خلال هذا البحث أتناول موضوع المناسبة بين سورتي النور والفرقان من خلال فصلين رئيسيين هما: التعريف بسورتي النور والفرقان، المناسبة بين كل من سورة النور وسورة الفرقان.

أسباب اختيار الموضوع : تتمثل أسباب اختياري لهذا الموضوع فيما يلي:

١. ابتغاء مرضاة الله وخدمة كتابه وهو أهم سبب وأسمى غاية أرجوها.

٢. المكانة العظيمة التي تستحوذ عليها كل من سورتي النور والفرقان بين سور القرآن الكريم.

٣. وجدت أن موضوع هذا البحث يعد قضية مهمة تحتاج إلى إثراء من الباحثين في نواح كثيرة.

٤. الرغبة في دراسة علم المناسبة دراسة متخصصة مستقلة ومحكمة من خلال سورتي النور والفرقان.

٥. أن البحث في مجال التفسير وعلوم القرآن يعد من الموضوعات ذات القيمة المتفردة التي قد يستفيد منها الباحث أولا ومن ثَّم تتم الإفادة الآخرون.

٦. قد يشجع هذا البحث الزملاء الباحثين وكذلك المتخصصين في البحث في هذا المجال والخوض في غماره.

٧. يعد هذا البحث إضافة جديدة تثري المكتبة الإسلامية في مجال هام وهو المناسبة بين سور القرآن الكريم وآياته من خلال سورتي النور والفرقان.

أهداف البحث:

١. التعريف بسورتي النور والفرقان.

٢. التعريف بعلم المناسبة وأهميته.

٣. إبراز الموضوعات الهامة والحيوية التي تتضمن سورتي النور والفرقان واستخلاص أهميتها في حياة المسلم.

٤. تناول أوجه المناسبة بين آيات كل من سورتي النور والفرقان.

٥. استخلاص النتائج المستوحاة من سورتي النور والفرقان.

منهج البحث:

لقد تم استخدم المنهج الوصفي التحليلي كونه أشهر المناهج التي تتناول موضوعات البحث بالدراسة والتحليل وتبسيط المادة العلمية.

مصطلحات البحث:

١- سورة النور: سُميت سورة النور لما فيها من إشعاعات النور الرباني بتشريع الأحكام والآداب والفضائل الإنسانية التي هي قبس من نور الله على عباده وفيض من فيوضات رحمته وجوده[٤]، قال تعالى: ﴿الله نور السموات والأرض﴾ [٥].

٢- سورة الفرقان: سورة الفرقان سورة مكية آياتها ٧٧ وترتيبها بين السور ٢٥. ولفظ الفرقان يشير إلى القرآن الكريم وسمي بالفرقان لأنه يفرق بين الحق والباطل[٦] .

الدراسات السابقة:

١- دراسة الباحث حفني محمد شرف (١٩٦٦م)، بعنوان: " الصور البديعة بين النظرية و التطبيق" جامعة القاهرة ، هدفت الدراسة إلى بيان أن سورة الفرقان كسائر السور المكية اهتمت بأصول العقيدة من التوحيد والنبوة وأحوال القيامة. فبدأت بإثبات الوحدانية الله عزّ وجلّ، وصدق القرآن، وصحة رسالة النبي صلى الله عليه وسلم، ووقوع البحث والجزاء يوم القيامة لا محالة، وفندت أضداد هذه العقائد، ونعت على المشركين عبادة الأصنام والأوثان ونسبة الولد الله عزّ وجلّ، وتكذيبهم بالبعث والقيامة، بما سيلقون من ألوان العذاب والنكال في نار جهنم، جنان الخلد من أصناف النعيم المقيم. ثم أبانت شئم مصير بعض المشركين كعقبة بن أبي مُعَيْط الذي عرف الحق ثم ارتدّ عنه، فسمّاه القرءن بالظالم: ﴿ وَيَوْمَ يَعَضُّ الظَّالِمُ عَلَىٰ يَدَيْهِ ﴾[٧] متأثرا بصديقه الذي سمي بالشيطان وهو أُبي بن خلف.

٢- دراسة بدر بن طاهر الطرقي العنزي (١٤٣٤هـ - ١٤٣٥هـ): " التناسب البلاغي في سورة النور"، هدفت الدراسة إلى بيان التناسب الكوني، ثم التناسب في مدونات المفسرين والبلاغيين،

وتناول الباحث تعريفا موجزا للتناسب ونشأته، ثم الحديث عن إشكالية التناسب. والفصل الأول التناسب المعنوي ، الفصل الثاني كان في أوجه التناسب في بنية السورة، والفصل الثالث في التناسب بين المباني والمعاني.

٣- دراسة عدلي أحمد عطية البرش ١٤٣١هـ- ٢٠١٠م): " المناسبة بين الفواصل القرآنية وآياتها"- دراسة تطبيقية لسورة الفرقان والشعراء والنمل"، هدفت هذه الدراسة إلى ابتغاء الأجر والثواب من الله في الدنيا والآخرة، من أجل خدمة كتاب الله -سبحانه تعالى- وبيان مناسبة الفاصلة القرآنية في نهاية الآية القرآنية وعلاقتها بما سبق من الآيات، وابراز الوحدة الموضوعية لسور القرآن، وأنها وحدة موضوعية مترابطة متكاملة، وإظهار وجوه الإعجاز البيانية في الفاصلة القرآنية، وإثراء الكتبة الإسلامية بدراسة علمية محكمة تتناول موضوعاً جديداً تفتقر إليه، وفتح آفاق جديدة أمام الدارسين وطلبة العلم الشرعي وذلك من خلال النتائج والتوصيات التي خرج بها الباحث، والتدبر في آيات القرآن الكريم تطبيقاً لقوله تعالى: ﴿كِتَابٌ أَنزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِّيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُو الْأَلْبَابِ﴾[٨]. وتوصلت الدراسة لنتائج من أهمها: تناسق الفواصل في السورة مع جوها وإيقاعها العام، فتأتي رخيه في مواضع الرحمة، وتأتي مشددة قوية في مواضع الشدة والقوة، ويظهر ذلك واضحاً في سورة الفرقان والشعراء والنمل، كما بينت أن سورة الفرقان والشعراء والنمل من السور المكية التي تعنى بشئون العقيدة بكل مقوماتها ومستلزماتها وتعالج شبهات المشركين حول رسالة محمد صلى الله عليه وسلم حول القرآن العظيم والبعث والجزاء شأنه سائر السور المكية التي تهتم بجانب العقيدة وأصول الأيمان، كما بينت ان المحور الذي تدور حوله السور الثلاثة هو العقيدة ملخصة في عناصرها الأساسية توحيد الله والخوف من الآخرة والتصديق بالوحي المنزل علي محمد صلى الله عليه وسلم.

٤- وفي دراسة اسامة محمد خيري، بعنوان: " تناسق الدرر في مناسبات السور- المناسبة في سورة النور والفرقان"، هدفت هذه الدراسة إلى بيان عظيم قدر الرسول صلى الله عليه وسلم، من خلال سورتي النور والفرقان، ففي سورة النور قال تعالى: ﴿ لا تجعلوا دعاء الرسول بينكم... ﴾[٩]، أتبعه في سورة الفرقان قوله سبحانه تعالى: ﴿ تبارك الذي نزل الفرقان على عبده﴾[١٠] ، وهو القرآن الفارق بين الحق والباطل، والمطلع على ما أخفاه المنافقون وأبطنوه من المكر والكفر، قال تعالى: ﴿ليكون للعالمين نذيراً﴾[١١] فيحذرهم من مرتكبات المنافقين والتشبه بهم؛ والتحم جليل المعهود من ذلك النظام، وتضمنت هذه السورة من النعي على الكفار والتعريف ببهتهم وسوء مرتكبهم ما لم يتضمن كثير من نظائرها كقولهم ﴿ ما لهذا الرسول يأكل الطعام ﴾[١٢] الآيات، وقولهم سبحانه: ﴿ لولا أنزل علينا الملائكة أو نرى ربنا﴾[١٣]، وقولهم ﴿ لولا نزل عليه القرآن

جملة واحدة ﴾[١٤]، وقولهم ﴿وما الرحمن﴾[١٥] إلى ما عضد هذه وتخللها، ولهذا ختمت بقاطع الوعيد، وأشد التهديد، وهو قوله سبحانه: ﴿فقد كذبتم فسوف يكون لزاماً﴾[١٦].

- التعليق على الدراسات السابقة (أوجه الشبه والاختلاف):

أولاً: أوجه الشبه: تتشابه دراستنا الحالية مع دراسة كل من حفني محمد شرف (١٩٦٦م)، ودراسة بدر بن طاهر الطرقي العنزي (١٤٣٥ه)، التي هدفت إلى ابتغاء الأجر والثواب من الله في الدنيا والآخرة، من أجل خدمة كتاب الله -سبحانه تعالى- وبيان مناسبة الفاصلة القرآنية في نهاية الآية القرآنية وعلاقتها بما سبق من الآيات، وابراز الوحدة الموضوعية لسور القرآن، وأنها وحدة موضوعية مترابطة متكاملة، وإظهار وجوه الإعجاز البيانية في الفاصلة القرآنية، وإثراء المكتبة الإسلامية بدراسة علمية محكمة تتناول موضوعاً جديداً تفتقر إليه، وفتح آفاق جديدة أمام الدارسين وطلبة العلم الشرعي وذلك من خلال النتائج والتوصيات التي خرج بها الباحث، والتدبر في آيات القرآن الكريم، ودراسة عدلي أحمد عطية البرش (١٤٣١ه- ٢٠١٠م)، وكذلك دراسة اسامة محمد خيري، في انهم تناولوا بالدراسة علم المناسبة من خلال سورتي النور والفرقان، سواء في اول كل منها وأخر نفس السورة، أو التناسب فيما بين السورتين معاً. واتفقت معها النتيجة وهي بيان عظيم قدر الرسول صلى الله عليه وسلم، من خلال السورتين.

ثانياً: أوجه الاختلاف: كما تختلف دراستنا الحالية مع دراسة حفني محمد شرف (١٩٦٦م)، في أن الأخيرة تهدف إلى بيان أن سورة الفرقان كسائر السور المكية اهتمت بأصول العقيدة من التوحيد والنبوة وأحوال القيامة. فبدأت بإثبات الوحدانية الله عزّ وجلّ، وصدق القرآن، وصحة رسالة النبي صلى الله عليه وسلم، ووقوع البحث والجزاء يوم القيامة لا محالة، وفندت أضداد هذه العقائد، ونعت على المشركين عبادة الأصنام والأوثان ونسبة الولد الله عزّ وجلّ، وتكذيبهم بالبعث والقيامة، بما سيلقون من ألوان العذاب والنكال في نار جهنم، جنان الخلد من أصناف النعيم المقيم. ثم أبانت شئم مصير بعض المشركين، وكذلك تختلف دراستنا الحالية مع دراسة بدر بن طاهر الطرقي العنزي (١٤٣٤هـ - ١٤٣٥هـ)، في أن هذه الدراسة تهدف إلى بيان التناسب الكوني، ثم التناسب في مدونات المفسرين والبلاغيين، وتناولت الباحثة تعريفا موجزا للتناسب ونشأته، ثم الحديث عن إشكالية التناسب. من خلال فصولها الثلاثة، كما تختلف دراستنا الحالية مع دراسة عدلي أحمد عطية البرش ١٤٣١ه- ٢٠١٠م)، في أن هذه الأخيرة هدفت إلى تدبر أولو الألباب لآيات القرآن الكريم ويتذكروا، وتوصلت الدراسة لنتائج من أهمها: تناسق الفواصل في السورة مع جوها وإيقاعها العام، فتأتي رخيه في مواضع الرحمة، وتأتي مشددة قوية في مواضع الشدة والقوة، ويظهر ذلك واضحاً في سورة الفرقان والشعراء والنمل، كما بينت أن سورة الفرقان والشعراء والنمل من

السور المكية التي تعنى بشئون العقيدة بكل مقوماتهـــا ومستلزماتها وتعالج شبهات المشركين حول رسالة النبي صلى الله عليه وسلم حول القــرآن العظــيم والبعــث والجزاء شأنه سائر السور المكية التي تهتم بجانب العقيدة وأصول الأيمان. **أوجه الاستفادة من الدراسات السابقة:** يُستَفاد من هذه الدراسات ما يلي:

١. إثراء أدبيات البحث، وتشخيص مشكلة البحث، وفي تنظيم الأفكار الرئيسية له.

٢. التعرف على أوجه المناسبة فيما بين سورة النور أخرها وأول سورة الفرقان .

٣. ابراز الوحدة الموضوعية لسور لكلتا السورتين وأنها وحدة مترابطة متكاملة، وإظهار وجوه الإعجاز البيانية في الفاصلة القرآنية

٤- أفادت الدراسات السابقة في أن سورة النور قد تناولت الأحكام التشريعية وتعني بأمور التشريع والتوجيه والأخلاق وتهتم بالقضايا العامة والخاصة التي ينبغي أن يُرَبَّى عليها المسلمون أفرادا وجماعات وقد اشتملت هذه السورة على أحكام هامة وتوجيهات عامة تتعلق بالأسرة التي هي النواة الأولى لبناء المجتمع الأكبر، وهي في ذلك تتناسب مع آيات سورة الفرقان التي اهتمت بأصول العقيدة من التوحيد والنبوة وأحوال القيامة. فبدأت بإثبات الوحدانية الله عزّ وجلّ، وصدق القرآن، وصحة رسالة النبي صلى الله عليه وسلم، ووقوع البحث والجزاء يوم القيامة.تقسيمات البحث المقدمة.الفصل الأول: التعريف بسورتي الفرقان والنور.تمهيد.المبحث الأول: التعريف بســورة النور.المطلب الأول: التعريف بسورة النور.المطلب الثاني: محاور موضوعات سورة النور.المطلب الثالث: أسباب نزول سورة النور.المطلب الرابع: مقاصد سورة النور.المطلب الخامس: أهمية ســـورة النور.المطلب السادس: ضرورة سورة النور.المبحث الثاني: التعريف بسورة الفرقان .المطلب الأول: التعريف بسورة الفرقان.المطلب الثاني: محاور موضوعات سورة الفرقان.المطلب الثالث: أسباب نزول سورة الفرقان.المطلب الرابع: مقاصد سورة الفرقان.المطلب الخامس: أهمية سورة الفرقان.المطلب السادس: ضرورة سورة الفرقان.الفصل الثاني: المناسبة بين سورتي النور والفرقان .تمهيد.المبحث الأول: التعريف بعلم المناسبة في القرآن الكريم وأهميته.

المطلب الأول: تعريف علم المناسبة.المطلب الثاني: أهمية علم المناسبة.المطالب الثالث: موضوع علم المناسبة وثمره.المطلب الرابع: ظهور علم المناسبة وتطوره وأقوال العلماء فيه. المطلب الخامس: أهم من اهتم بعلم المناسبة.المطلب السادس: آراء العلماء في علم المناسبة.المطلب السابع: مكانة علم المناسبة وكيفية الوصول إليه.المبحث الثاني: المناسبة بين سورتي الفرقان والنور.المطلب الأول: المناسبة بين آيات سورة النور.المطلب الثاني: المناسبة بين آيات سورة الفرقان.المطلب الثالث: المناسبة بين سورتي النور والفرقان.الخاتمة.قائمة المراجع.

الفصل الأول
التعريف بسورتي النور والفرقان

تمهيد:

سورة النور هي سورة مدنية من السور المثاني وعدد آياتها ٦٤ آية وترتيبها ٢٤ في المصحف الشريف ، ونزلت بعد سورة " الحشر " ، بدأت بـــ "سورة أنزلناها " تتحدث عن حديث الإفك . وسميت سورة النور لما فيها من إشعاعات النور الرباني بتشريع الأحكام والآداب والفضائل الإنسانية التي هي قبس من نور الله على عباده وفيض من فيوضي رحمته وجوده.وهي تهتم بالآداب الاجتماعية عامة وآداب البيوت خاصة ، وقد وجّهت المسلمين إلى أسس الحياة الفاضلة الكريمة بما فيها من توجيهات رشيدة ،وآداب سامية ، تحفظ المسلم ومجتمعه وتصون حرمته ، وتحافظ عليه من عوامل التفكك الداخلي ، والانهيار الخلقي الذي يدمّر الأمم. وقد نزلت فيها آيات تبرئة السيدة عائشة بعد حادثة الإفك. أما سورة الفرقان من السورة المكيّة، ما عدا آياتها الثامنة والستين، والتاسعة والستين، والسبعين فهي آيات مدنيّة، وهي من السور المثاني، وعدد آياتها سبع وسبعون آية، وترتيبها السورة الخامسة والعشرين من سور القرآن الكريم في الجزء التاسع عشر والحزب السادس والثلاثين والسابع والثلاثين تحديداً الربع الأوّل والثاني، وقد نزلت بعد سورة "يس"، وبدأت بالثناء على الله جلّ وعلا "تبارك"، وفيها سجدة في آياتها الستين، واسم السورة هو اسم من أسماء القرآن الكريم "الفرقان" أي الذي يفرّق بين الحقّ والباطل، والآية الأولى فيها: "تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَى عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيرًا".من خلال هذا الفصل سوف اتناول تعريف سورتي النور والفرقان من خلال مبحثان رئيسان، يتفرع عنهما عدة مطالب تتناول تعريفهما، ومحاور موضوعاتهما، وأسباب تسميتها ونزولهما، ومقاصدهما، وأهميتهما، وضرورتهما. المبحث الأول: التعريف بسورتي النور والفرقان:

المطلب الأول: التعريف بسورة النور.

سورة مدنية، من المثاني، وعدد آياتها .٦٤، وترتيبها الرابعة والعشرون، نزلت بعد سورة الحشر . بدأت بسورة أنزلنها، تحدثت عن حديث الإفك[١٧] .وسورة النور سورة مدنية تهتم بالآداب الاجتماعية عامة وآداب البيوت خاصة وقد وجّهت المسلمين إلى أسس الحياة الفاضلة الكريمة بما فيها من توجيهات رشيدة وآداب سامية تحفظ المسلم ومجتمعه وتصون حرمته وتحافظ عليه من عوامل التفكك الداخلي والانهيار الخلقي الذي يدمّر الأمم. وقد نزلت فيها آيات تبرئة السيدة عائشة بعد حادثة الإفك ، قال تعالى: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ جَاءُوا بِالْإِفْكِ عُصْبَةٌ مِنْكُمْ لَا تَحْسَبُوهُ شَرًّا لَكُمْ بَلْ هُوَ خَيْرٌ لَكُمْ لِكُلِّ امْرِئٍ مِنْهُمْ مَا اكْتَسَبَ مِنَ الْإِثْمِ وَالَّذِي تَوَلَّى كِبْرَهُ مِنْهُمْ لَهُ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾[١٨]، وكل الآيات

التي سبقتها إنما كانت مقدمة لتبرءتها. ثم يأتي التعقيب في قوله تعالى: ﴿ لَوْلَا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ ظَنَّ الْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بِأَنْفُسِهِمْ خَيْرًا وَقَالُوا هَذَا إِفْكٌ مُبِينٌ﴾[١٩]، وفيها توجيه للمسلمين بإحسان الظنّ بإخوانهم المسلمين وبأنفسهم وأن يبتعدوا عن سوء الظن بالمؤمنين، وشددت على أهمية إظهار البيّنة، يقول تعالى: ﴿لَوْلَا جَاءُوا عَلَيْهِ بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاءَ فَإِذْ لَمْ يَأْتُوا بِالشُّهَدَاءِ فَأُولَئِكَ عِنْدَ اللَّهِ هُمُ الْكَاذِبُونَ﴾[٢٠]ويأتي الوعظ الإلهي في قوله تعالى: ﴿ يَعِظُكُمُ اللَّهُ أَنْ تَعُودُوا لِمِثْلِهِ أَبَدًا إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾[٢١]، فالسورة بشكل عام هي لحماية أعراض الناس وهي بحقّ سورة الآداب الاجتماعية[٢٢].

المطلب الثاني: محور مواضيع سورة النور.

سورة النور من السور المدنية التي تتناول الأحكام التشريعية وتعني بأمور التشريع والتوجيه والأخلاق وتهتم بالقضايا العامة والخاصة التي ينبغي أن يُرَبَّى عليها المسلمون أفرادا وجماعات وقد اشتملت هذه السورة على أحكام هامة وتوجيهات عامة تتعلق بالأسرة التي هي النواة الأولى لبناء المجتمع الأكبر[٢٣] .وقد اشتملت سورة النور على كثير من الأغراض منها: عقاب الذين يقذفون المحصنات ، وبيان أحكام اللعان، و الزجر عن حب إشاعة الفواحش بين المؤمنين والمؤمنات ، مع تحريم البغاء الذي كان شائعا في الجاهلية والأمر بالعفاف، والأمر بالصفح عن الأذى عند القدرة عليه ، أحكام الاستئذان في الدخول إلى بيوت الناس المسكونة، ودخول البيوت غير المسكونة، وآداب المسلمين والمسلمات في المخالطة و إفشاء السلام ، وذم أحوال النفاق والإشارة إلى سوء طويتهم مع النبي صلى الله عليه وسلم. والتحذير من الوقوع في حبائل الشيطان ، ثم ضرب المثل لهدى الإيمان وضلال الكفر.وتخلل ذلك وصف عظمة الله تعالى وبدائع مصنوعاته، وفيها من منن على الناس وقد أردف ذلك بوصف ما أعده الله للمؤمنين، وان الله علم بما يضمره كل احد وان المرجع إليه والجزاء بيده. لقد عاجلت السورة أغلظ ما في الكيان البشري ليرققه ويطهره ويرتفع به إلى آفاق النور .إن المحور الذي تدور عليه السورة كلها هو محور التربية التي تشتد في وسائلها إلى درجة الحدود، وترق إلى درجة اللمسات الوجدانية الرقيقة، التي تصل القلب بنور الله، والهدف واحد في الشدة واللين هو تربية الضمائر ورفع المقاييس الأخلاقية للحياة حتى تصل إلى المستوى الذي أراده الله تعالى، وتتداخل الآداب النفسية الفردية، وآداب البيت والأسرة، وآداب الجماعة والقيادة ، بوصفها نابعة من معين واحد وهو العقيدة في الله .

المطلب الثالث: سبب نزول السورة.

قال المفسرون قدم المهاجرون إلى المدينة وفيهم فقراء ليست لهم أموال وبالمدينة نساء بغايا مسافحات يكرين أنفسهن وهن يومئذ أخصب أهل المدينة فرغب في كسبهن ناس من فقراء

المهاجرين فقالوا لو أنا تزوجنا منهن فعشنا معهن إلى أن يغنينا الله تعالى عنهن فاستأذنوا النبي في ذلك فنزلت هذه الآية وحرم فيها نكاح الزانية صيانة للمؤمن عن ذلك ، وقال عكرمة : نزلت الآية في نساء بغايا متعالجات بمكة والمدينة وكن كثيرات ومنهن تسع صواحب رايات لهن رايات كرايات البيطار يعرفونها أم مهدون جارية السائب بن أبي السائب المخزومي وأم غليظ جارية صفوان بن أمية وحية القبطية جارية العاص بن وائل ومرية جارية ابن مالك بن عمثلة بن السباق وجلالة جارية سهيل بن عمرو وام سويد جارية عمرو بن عثمان المخزومي وشريفة جارية زمعة بن الاسود وقرينة جارية هشام بن ربيعة المواخير لا يدخل عليهن ولا يأتيهن إلا زان من أهل القبلة أو مشرك من أهل الأوثان فأراد ناس من المسلمين نكاحهن ليتخذوهن ما أكلة فأنزل الله تعالى هذه الآية ونهى المؤمنين عن ذلك وحرمه عليهم[٢٤] .وعن ابن عباس قال : لما نزلت ﴿وَالَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ ثُمَّ لَمْ يَأْتُوا بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاءَ﴾ [٢٥]، إلى قوله تعالى ﴿الفاسقون﴾، قال سعد بن عبادة :أهكذا أُنْزِلَتْ يا رسول الله؟ فقال رسول الله: ألا تسمعون يا معشر الانصار إلى ما يقول سيدكم ؟قالوا يا رسول الله إنَّه رجل غيور والله ما تزوج امرأة قط إلا بكرا وما طلق امرأة قط فاجترأ رجل منا على أن يتزوجها من شدة غيرته فقال سعد : والله يا رسول الله إني لأعلم أنها حق وأنها من عند الله ولكن قد تعجبت أن لو وجدت لكاع قد تفخذها رجل لم يكن لي أن اهيجه ولا أحركه حتى آتي بأربعة شهداء فو الله إني لأتى بهم حتى يقضي حاجته فما لبثوا إلا يسيرا حتى جاء هلال بن أمية من أرضه عشيا فوجد عند أهله رجلا فرأى بعينه وسمع بأذنه فلم يهيجه حتى أصبح وغدا على رسول الله فقال: يا رسول الله إني جئت أهلي عشيا فوجدت عندها رجلا فرأيت بعيني وسمعت بأذني فكره رسول الله ما جاء به واشتد عليه فقال سعد بن عبادة : الآن يضرب رسول الله هلال ابن امية ويبطل شهادته في المسلمين، فقال هلال: والله إني لأرجو أن يجعل الله لي منها مخرجا فقال هلال يا رسول الله إني قد أرى ما قد اشتد عليك مما جئتك والله يعلم إني لصادق فو الله إن رسول الله يريد أن يأمر بضربه إذ نزل عليه الوحي وكان إذا نزل عليه عرفوا ذلك في تربد جلده فامسكوا عنه حتى فرغ من الوحي فنزل قوله تعالى: ﴿ وَالَّذِينَ يَرْمُونَ أَزْوَاجَهُمْ وَلَمْ يَكُن لَّهُمْ شُهَدَاءُ إِلَّا أَنفُسُهُمْ فَشَهَادَةُ أَحَدِهِمْ أَرْبَعُ شَهَادَاتٍ بِاللَّهِ إِنَّهُ لَمِنَ الصَّادِقِينَ﴾[٢٦] ،الآيات كلها فسري عن رسول الله فقال أبشر يا هلال فقد جعل الله لك فرجا ومخرجا فقال هلا قد كنت أرجو ذاك من ربي وذكر باقي الحديث[٢٧].

المطلب الرابع: مقاصد سورة النور.

المحور العام الذي تدور حوله سورة النور: هو محور التربية، قال القرطبي: مقصود هذه السورة ذكر أحكام العفاف والستر ، و قال ابن الزبير: "مقصودها مدلول اسمها المودع قلبها، المراد منه: أنه تعالى شامل العلم، اللازم منه تمام القدرة، اللازم منه إثبات الأمور على غاية الحكمة،

اللازم منه تأكيد الشرف للنبي صلى الله عليه وسلم، اللازم منه شرف من اختاره سبحانه لصحبته، على منازل قربهم منه، واختصاصهم به، اللازم منه غاية النزاهة والشرف والطهارة لأم المؤمنين عائشة رضي الله عنها، التي مات صلى الله عليه وسلم وهو عنها راض، ثم ماتت هي رضي الله عنها صالحة محسنة، وهذا هو المقصود بالذات، ولكن إثباته محتاج إلى تلك المقدمات" ، ويمكن **تلخيص مقاصد سورة النور وفق التالي:**

١- بيان أن هذه السورة -وهذا شأن القرآن كله- وما تضمنته من أحكام ومبادئ إنما هي من عند الله سبحانه، فهو سبحانه أعلم بما يصلح عباده وما يفسدهم، وأن ما يختاره سبحانه لعباده فرض عليهم التزامه والعمل به؛ لأن فيه تحقيق مصلحتهم الدنيوية، ونيل سعادتهم الأخروية، ولا يمكن تحقيق هذه وتلك إلا بما شرعه الله سبحانه[٢٨].

٢- تجريم عقوبتي الزنى والقذف، وبيان حدِّ كل منهما؛ لما لهاتين الجريمتين من خطر -أي خطر- على أمن المجتمع وسلامة الأسرة.

٣- تبرئة السيدة عائشة رضي الله عنها مما رميت به من إفك وزور، وأنها رضي الله عنها كانت طاهرة عفيفة، لا يشك في هذا إلا كل أفَّاك أثيم. وقد قررت السورة في هذا السياق قاعدة مهمة، وهي أن الأصل حُسْن الظن بالمسلم، ولا يُعْدَل عن هذا الأصل إلا بيقين.

٤- التحذير من إشاعة الفاحشة في المجتمع؛ إذ إن انتشار الفاحشة في المجتمع من أهم عوامل هدمه وانهياره، وانتشار الفاحشة في المجتمع يعني خرابه ودماره، وشيوع الفضيلة فيه يعني بناءه واستقراره.

٥- تحدثت السورة عن وسائل الوقاية من الجريمة، وتجنيب النفوس أسباب الإغراء والغواية؛ وذلك ببيان آداب البيوت والاستئذان على أهلها، والأمر بغض البصر والنهي عن إبداء الزينة للمحارم، والحث على إنكاح الفتيان والفتيات غير المتزوجات، ولو كانوا فقراء، فإن الله سبحانه يغنيهم من فضله، فهو الغني الحميد، والنهي عن البغاء ووسائله.

٦- التحذير من اتباع خطوات الشيطان، وبيان أن اتباع خطواته تفضي إلى سوء وعاقبة وخيمة، حيث إن الشيطان لا يترك الإنسان وشأنه، بل يستجره من سوء إلى سوء، ومن ذنب إلى آخر إلى أن يودي به في نار جهنم، ثم يقول له: ﴿ إني بريء منك إني أخاف الله رب العالمين﴾[٢٩] .

٧- تأديب أهل البيت الواحد بأدب الاستئذان على الأسرة نفسها في الدخول إلى الحجرات المخصصة للرجل وزوجه، فدخول الأولاد على أبويهما في أوقات الفجر والظهيرة وبعد العشاء يستوجب إذن الوالدين. وأيضاً، فإن الأطفال البالغين يجب عليهم الاستئذان ككل آحاد الأسرة، لا في أوقات العورات فحسب. وتبين السورة كذلك أحكام كبار السن من النساء، اللائي لم يعد للرجال طمع في الزواج منهن[٣٠]، أنه ليس﴿عليهن جناح أن يضعن ثيابهن غير متبرجات بزينة﴾[٣١].

٨- ألمحت السورة الكريمة إلى أن صلاح المجتمع يبتدئ من بيوت العبادة؛ ورأس العبادة الصلاة، فهي طهارة القلوب، والمجتمع الصالح ما قام إلا على طهارة النفوس، فذكر سبحانه وتعالى المساجد ومكانتها، ومنزلة عمَّارها ورواداها والمعلقة قلوبهم بها.

٩- وجَّهت السورة الأنظار إلى خلقه سبحانه وتعالى، وخضوع الوجود له عز وجل، فكل ما الوجود خاضع لأمره، وسائر وَفْق مشيئته، كل ذلك بانتظام وبقدر وبحكمة.

١٠- بينت السورة مجافاة المنافقين – وهم موحدون في كل عصر ومِصر- للأدب الواجب مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في الطاعة والتحاكم. وصورت أدب المؤمنين الخالص وطاعتهم.

١١- وَعْده سبحانه عباده المؤمنين حق الإيمان المطبقين لشرعه، الاستخلاف في الأرض، والتمكين في الدين، والنصر على الكافرين.

١٢- تحدثت السورة عن آداب الضيافة في محيط البيوت بين الأقارب والأصدقاء. وآداب الجماعة المسلمة كلها كأسرة واحدة، مع رسولها ومربيها رسول الله صلى الله عليه وسلم.

١٣- ختم السورة بإعلان ملكية الله لما في السماوات والأرض، وعلمه بواقع الناس، وما تنطوي عليه حناياهم، ورجعتهم إليه، وحسابهم على ما يعلمه من أمرهم. وهو بكل شيء عليم[٣٢].

المطلب الخامس: أهمية سورة النور.

تهتم سورة النور بالآداب الاجتماعية عامة وآداب البيوت خاصة وقد وجّهت المسلمين إلى أسس الحياة الفاضلة الكريمة بما فيها من توجيهات رشيدة وآداب سامية تحفظ المسلم ومجتمعه وتصون حرمته وتحافظ عليه من عوامل التفكك الداخلي والانهيار الخلقي الذي يدمّر الأمم. وقد نزلت فيها آيات تبرئة السيدة عائشة رضي الله عنها بعد حادثة الإفك، قال تعالى: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ جَاؤُوا بِالْإِفْكِ عُصْبَةٌ مِّنكُمْ لَا تَحْسَبُوهُ شَرًّا لَّكُم بَلْ هُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ لِكُلِّ امْرِئٍ مِّنْهُم مَّا اكْتَسَبَ مِنَ الْإِثْمِ وَالَّذِي تَوَلَّى كِبْرَهُ مِنْهُمْ لَهُ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾[٣٣]، وكل الآيات التي سبقتها إنما كانت مقدمة لتبرءتها. ثم يأتي التعقيب في ﴿لَوْلَا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ ظَنَّ الْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بِأَنفُسِهِمْ خَيْرًا وَقَالُوا هَذَا إِفْكٌ مُّبِينٌ﴾[٣٤]، وفيها توجيه للمسلمين بإحسان الظنّ بإخوانهم المسلمين وبأنفسهم وأن يبتعدوا عن سوء الظن بالمؤمنين، وشددت على أهمية إظهار البيّنة ﴿ لَوْلَا جَاؤُوا عَلَيْهِ بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاء فَإِذْ لَمْ يَأْتُوا بِالشُّهَدَاء فَأُوْلَئِكَ عِندَ اللَّهِ هُمُ الْكَاذِبُونَ﴾[٣٥]، ويأتي الوعظ الإلهي في قوله تعالى: ﴿ يَعِظُكُمُ اللَّهُ أَن تَعُودُوا لِمِثْلِهِ أَبَدًا إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾[٣٦]. فالسورة بشكل عام هي لحماية أعراض الناس وهي بحقّ سورة الآداب الإجتماعية.

تبدأ السورة بآية شديدة جداً ﴿سُورَةٌ أَنزَلْنَاهَا وَفَرَضْنَاهَا وَأَنزَلْنَا فِيهَا آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ لَّعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾[٣٧]، وفيها تنبيه للمسلمين لأن السورة فيها أحكام وآداب هي قوام المجتمع الإسلامي القويم[٣٨] ، لتنتقل الآيات إلى عقوبة الزناة ﴿ الزَّانِيَةُ وَالزَّانِي فَاجْلِدُوا كُلَّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا مِئَةَ جَلْدَةٍ وَلَا

تَأْخُذْكُم بِهِمَا رَأْفَةٌ فِي دِينِ اللَّهِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَلْيَشْهَدْ عَذَابَهُمَا طَائِفَةٌ مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾[٣٩]، والأصل في الدين الرأفة والرحمة أما في أحوال الزناة فالأمر يحتاج إلى الشدة والقسوة وإلا فسد المجتمع جرّاء التساهل في تطبيق شرع الله وحماية حدوده، لذا جاءت الآيات تدل على القسوة وعلى كشف الزناة . لكن يجب أن نفهم الدلالة من هذه الآية، فالله تعالى يأمرنا بأن نطبق هذه العقوبة بعد أن نستكمل بعض الضمانات لحماية المجتمع التي تتحدث عنها بالتفصيل الآيات التالية في السورة. والملاحظ في هذه السورة تقديم الزانية على الزاني وكما يقول الدكتور أحمد الكبيسي في هذا التقديم أن سببه أن المرأة هي التي تقع عليها مسؤولية الزنا فهي لو أرادت وقع الزنا وإن لم ترد لم يقع فبيدها المنع والقبول، وهذا على عكس عقوبة السرقة (والسارق والسارقة) فهنا قدم السارق لأن طبيعة الرجل هو الذي يسعى في الرزق على أهله فهو الذي يكون معرضاً لفعل هذه الجريمة[٤٠] .

المطلب السادس : ضـرورة سورة النور.

تمثلت ضرورة سورة النور في أنها اهتمت ببيان فرائض مختلفَة، وآداب حدّ الزَّانى والزَّانية، والنَّهى عن قَذْف المحصنات، وحكم القذف، واللِّعان، وقصّة إِفك الصّدّيقة، وشكاية المنافقين، وخوضهم فيه، وحكاية حال المخلصِين في حفظ اللِّسان، وبيان عظمة عقوبة البهتان، وذمّ إِشاعة الفاحشة، والنهى عن متابعة الشيطان، والمِنَّة بتزكية الأَحوال على أَهل الإِيمان، والشفاعة لمِسْطحٍ إِلى الصّديق، في ابتداءِ الفضل والإِحسان، ومدح عائشة بأَنَّها حَصَان رَزَان، وبيان أَن الطيّبات للطيّبين، ولعن الخائضين في حديث الإِفك، والنَّهى عن دخول البيوت بغير إِذن وإِيذان، والأَمر بحفظ الفروج، وغضِّ الأَبصار، والأَمر بالتَّوبة لجميع أَهل الإِيمان، وبيان النكاح وشرائطه، وكراهة الإِكراه على الزِّنا، وتشبيه المعرفة بالسّراج والقنديل، وشجرة الزيتون، وتمثيل أَعمال الكفار، وأَحوالهم، وذكر الطّيور، وتسبيحهم، وأَورادهم، وإِظهار عجائب صُنْع الله في إِرسال المطر، وتفصيل أَصناف الحيوان، وانقياد أَمرالله تعالى بالتَواضع والإِذْعان، وخلافة الصّديق، وصلابة الإِخوان، وبيان استئذان الصّبيان، والعُبْدّان، ورفع الحَرَج عن العُمْيَان، والزَّمْنى، والعُرْجان، والأَمر بحرمة سيّد الإِنس والجانّ، وتهديد المنافقين، وتحذيرهم من العصيان[٤١] .

المبحث الثاني
التعريف بسورة الفرقـــــان

المطلب الأول: التعريف بسورة الفرقان.

سورة الفرقان، سورة مكية، وهي سبع وسبعون آية. سورة الفرقان من السورة المكيّة، ما عدا آياتها الثامنة والستين، والتاسعة والستين، والسبعين فهي آيات مدنيّة، وهي من السور المثاني، وعدد آياتها سبع وسبعون آية، وترتيبها السورة الخامسة والعشرين من سور القرآن الكريم في الجزء التاسع عشر والحزب السادس والثلاثين والسابع والثلاثين تحديداً الربع الأوّل والثاني، وقد نزلت بعد سورة "يس"، وبدأت بالثناء على الله جلّ وعلا "تبارك"، وفيها سجدة في آياتها الستين، واسم السورة هو اسم من أسماء القرآن الكريم "الفرقان" أي الذي يفرّق بين الحقّ والباطل، والآية الأولى فيها: ﴿ تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَى عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيرًا﴾[٤٢]. سبب تسمية السورة وسبب نزولها سورة الفرقان سورة من سور القرآن الكريم سميّت بهذا الاسم لأنّ الله جلّ وعلا ذكر فيها الكتاب الكريم الذي أنزل على خاتم الأنبياء والمرسلين محمّد صلّى الله عليه وسلّم، والذي كان النعمة الكبرى التي منّ بها على العباد، والذي يفرّق بين الحقّ والباطل، والكفر والإيمان، والظلام والنور، ولذلك سميّ الفرقان[٤٣]. أمّا فيما يتعلق بسبب نزول بعض آيات هذه السورة، فقد قال البعض: "أنّ أُبيّ بن خلف وعقبة بن أبي معيط كانا متحالفين، وكان عقبة لا يقدم من سفر إلا صنع طعاماً، فدعا اليه أشراف قومه وكان يكثر مجالسه النبي، فقدم من سفره ذات يوم فصنع طعاماً فدعا الناس ودعا رسول الله إلى طعامه، فلمّا قرب الطعام قال رسول الله: "ما أنا بآكل من طعامك حتى تشهد أن لا إله إلا الله وأنّي رسول الله"، فقال عقبة: "أشهد أن لا إله إلا الله وأنّ محمداً رسول الله؛ فأكل رسول الله من طعامه، وكان أبيّ بن خلف غائباً فلما أُخْبِرَ بقصته قال: صبأت يا عقبة، فقال: والله ما صبأت، ولكن دخل عليّ رجل فأبى أن يطعم من طعامي إلا أن أشهد له فاستحيت أن يخرج من بيتي ولم يطعم فشهدت فطعم، فقال أُبيّ: ما أنا بالذي رضي منك أبداً إلا أن تأتيه فتبزق في وجهه وتطأ عنقه؛ ففعل ذلك عقبة فأخذ رحم دابة فألقاها بين كتفيه فقال رسول الله: لا ألقاك خارجاً من مكة إلا علوت رأسك بالسيف؛ فقتل عقبة يوم بدر صبراً، وأما أبيّ بن خلف فقتله النبي يوم أحد في المبارزة، فأنزل الله تعالى فيهما هذه الآية وقال الضحاك: لما بزق عقبة في وجه رسول الله عاد بزاقه في وجه فتشعب شعبتين فأحرق خديه وكان أثر ذلك فيه حتى الموت"[٤٤].

المطلب الثاني: محاور موضوعات سورة الفرقان.

تحدثت سورة الفرقان بشكلٍ رئيس عن سوء عاقبة المُكذّبين بالله ورسوله، وجاء ذلك على ثلاثة محاور في السورة هي: منها ذكر أنواع التكذيب الذي واجهه رسول الله صلى الله عليه وسلم ، والتحذير من عاقبة الاستهزاء والتكذيب بآيات الله ورسوله وذلك تثبيت الله لرسوله وللمؤمنين.

كما أن هذه السورة تدور محاورها الرئيسة حول إثبات صدق رسالة محمّد صلوات الله عليه وسلامه، وأنّ القرآن مبعوث ومنزّل من الله تعالى، كما وتدور حول عقيدة الإيمان بالجزاء والبعث، كما ووردت فيها بعض القصص للموعظة والعبرة .

المطلب الثالث: سبب تسمية سورة الفرقان وأسباب نزولها.

سميت سورة الفرقان لافتتاحها بالثناء على الله عزّ وجلّ الذي نزل الفرقان، هذا الكتاب المجيد على رسوله محمد صلّى الله عليه وسلم، فهو النعمة العظمى، الذي فرق الله به بين الحق والباطل، وجعله نذيرا للعالمين: الجن والإنس، من بأس الله تعالى[٤٥]. و قيل :سميّت بهذا الاسم لأنّ الله جلّ وعلا ذكر فيها الكتاب الكريم الذي أنزل على خاتم الأنبياء والمرسلين محمّد "صلّى الله عليه وسلّم"، والذي كان النعمة الكبرى التي منّ بها على العباد، والذي يفرّق بين الحقّ والباطل، والكفر والإيمان، والظلام والنور، ولذلك سميّ الفرقان ، كما سُمّيت بهذا الاسم لأنّها ذكرت المعجزة الخالدة التي فرّقت بين الحق والباطل، وبين الكفر والإيمان، ألا وهي القرآن الكريم، وقد ذكرت السورة كلمة الفرقان في الآية الأولى منها حيث قال الله عزّ وجلّ: (تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَى عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيراً) [٤٦]، ولقد جاءت السورة مُثبّتةً لقلب الرسول صلى الله عليه وسلم ذاكرةً صفات عباد الرحمن الذين نصروا رسول الله ونصروا دعوته[٤٧].أمّا فيما يتعلق بسبب نزول سورة الفرقان، فقد نزلت سورة الفرقان في الوقت الذي كان في المشركون قد تمادوا في تكذيب الرسول واستهزائهم بدعوته، وتلك تفصيلات تنزيل بعض الآيات: (وَمَا أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِنَ الْمُرْسَلِينَ إِلاّ إِنّهُمْ لَيَأْكُلُونَ الطّعَامَ وَيَمْشُونَ فِي الأَسْوَاقِ وَجَعَلْنَا بَعْضَكُمْ لِبَعْضٍ فِتْنَةً أَتَصْبِرُونَ وكَانَ رَبُّكَ بَصِيراً)[٤٨] ، حيث عيّر المشركون رسول الله صلى الله عليه وسلم بالفقر والفاقة، إذ إنّه يمشي في الأسواق ويأكل الطعام!، وعندما سمع ذلك رسول الله حزن صلى الله عليه وسلم حُزناً شديداً؛ فنزل إليه جبريل عليه السلام من عند ربه معزّياً له حيث أخبره أنّ ربّ العزّة يقرئه السلام، ونزلت الآية، أي أنّهم كانوا مثل جميع البشر يبتغون المعاش في هذه الدنيا. (وَيَوْمَ يَعَضُّ الظّالِمُ عَلَى يَدَيْهِ يَقُولُ يَا لَيْتَنِي اتّخَذْتُ مَعَ الرّسُولِ سَبِيلاً)[٤٩]، حيث نزلت في عقبة بن أبي معيط أحد كفّار قريش، وخليله أُبي بن خلف، حيث كان عقبة بن أبي معيط جواداً كريماً؛ فلا يأتي من سفرٍ إلاّ ويولِم في بيته وليمةً يدعو إليها سادة قريشٍ وأشرافهم ثم يدعو أشراف قريش وكبراءها إلى هذه الوليمة، وكان قد دعا النّبي محمد-

صلّى الله عليه وسلّم إليها فرفض القدوم وذلك لعدم دخول عقبة في الإسلام، فبعث لرسول الله أنّه يريد النطق بالشهادتين، فلما علم بذلك صاحبه أُبي ابن خلف غضب منه وهجره، كما طلب منه أن يرتدّ عن دين محمد مقابل أن يرجع لصحبته، ففعل عقبة بن أبي معيط ما أراده خليله، فنزلت الآية الكريمة تصف حالة الندم التي سيكون عليها يوم القيامة[٥٠].كما أن من أسباب نزول بعض آيات هذه السورة، فقد قال البعض: "أنّ أُبيّ بن خلف وعقبة ابن أبي معيط كانا متحالفين، وكان عقبة لا يقدم من سفر إلا صنع طعاماً، فدعا اليه أشراف قومه وكان يكثر مجالسه النبي صلى الله عليه وسلم، فقدم من سفره ذات يوم فصنع طعاماً فدعا الناس ودعا رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى طعامه، فلمّا قرب الطعام قال رسول الله: "ما أنا بآكل من طعامك حتى تشهد أن لا إله إلا الله وأنّي رسول الله"، فقال عقبة: "أشهد أن لا إله إلا الله وأنّ محمداً رسول الله؛ فأكل رسول الله من طعامه، وكان أبيّ بن خلف غائباً فلما أُخبِرَ بقصته قال: صبأت يا عقبة، فقال: والله ما صبأت، ولكن دخل عليّ رجل فأبى أن يطعم من طعامي إلا أن أشهد له فاستحيت أن يخرج من بيتي ولم يطعم فشهدت فطعم، فقال أُبيّ: ما أنا بالذي رضي منك أبداً إلا أن تأتيه فتبزق في وجهه وتطأ عنقه؛ ففعل ذلك عقبة فأخذ رحم دابة فألقاها بين كتفيه فقال رسول الله: لا ألقاك خارجاً من مكة إلا علوت رأسك بالسيف؛ فقتل عقبة يوم بدر صبراً، وأما أبيّ بن خلف فقتله النبي صلى الله عليه وسلم يوم أحد في المبارزة، فأنزل الله تعالى فيهما هذه الآية وقال الضحاك: لما بزق عقبة في وجه رسول الله عاد بزاقه في وجه فتشعب شعبتين فأحرق خديه وكان أثر ذلك فيه حتى الموت"[٥١].

المطلب الرابع: مقاصد سورة الفرقان.

قال القرطبي: "مقصود هذه السورة ذِكْرُ موضع عِظَم القرآن، وذِكْرُ مطاعن الكفار في النبوة والرد على مقالاتهم، فمن جملتها قولهم: إن القرآن افتراه محمد، وإنه ليس من عند الله". يشير القرطبي بقوله هذا إلى أن {القرآن} ذُكِرَ في هذه السورة لفظاً أو إشارة في عدة مواضع.وقال الرازي: "اعلم أن الله سبحانه وتعالى تكلم في هذه السورة في التوحيد والنبوة، وأحوال القيامة، ثم ختمها بذكر صفات العباد المخلصين الموقنين، ولما كان إثبات الصانع، وإثبات صفات جلاله يجب أن يكون مقدماً على الكل، لا جرم افتتح الله هذه السورة بذلك، فقال: { تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَىٰ عَبْدِهِ}[٥٢]. يشير الرازي بقوله هذا إلى آيات التوحيد، والتنزيه التي تضمنتها هذه السورة.أما ابن عاشور فقد قال: "اشتملت هذه السورة على الابتداء بتمجيد الله تعالى، وإنشاء الثناء عليه، ووصفه بصفات الإلهية والوحدانية فيها. وأدمج في ذلك التنويه بالقرآن، وجلال منزله، وما فيه من الهدى، وتعريض بالامتنان على الناس بهديه، وإرشاده إلى اتقاء المهالك، والتنويه بشأن النبي صلى الله عليه وسلم[٥٣].وأقيمت هذه السورة على ثلاث دعائم:

الأولى: إثبات أن القرآن منزل من عند الله، والتنويه بالرسول المنزل عليه صلى الله عليه وسلم، ودلائل صدقه، ورفعة شأنه عن أن تكون له حظوظ الدنيا، وأنه على طريقة غيره من الرسل، ومن ذلك تلقي قومه دعوته بالتكذيب.

الدعامة الثانية: إثبات البعث والجزاء، والإنذار بالجزاء في الآخرة، والتبشير بالثواب فيها للصالحين، وإنذار المشركين بسوء حظهم يومئذ، وتكون لهم الندامة على تكذيبهم الرسول وعلى إشراكهم واتباع أئمة كفرهم.

الدعامة الثالثة: الاستدلال على وحدانية الله، وتفرده بالخلق، وتنزيهه عن أن يكون له ولد، أو شريك، وإبطال إلهية الأصنام، وإبطال ما زعموه من بنوة الملائكة لله تعالى.وافتتحت آيات كل دعامة من هذه الثلاث بجملة { تَبَارَكَ الَّذِي }[٥٤].ومن المقاصد التي اشتملت عليها السورة غير ما تقدم المقاصد التالية:

١- بيان أنه سبحانه نزل القرآن على رسوله صلى الله عليه وسلم منجماً -على مراحل وفترات- تثبيتاً للقلوب، وتلاوته حق تلاوته، وحفظه في الصدور.

٢- عالمية الرسالة المحمدية، وأنها للناس كافة، وليست للعرب خاصة، قال الطيبي: مدار هذه السورة على كونه صلى الله عليه وسلم مبعوثاً إلى الناس كافة، ينذرهم ما بين أيديهم وما خلفهم؛ ولهذا جعل براعة استهلالها قوله: {تبارك الذي نزل الفرقان على عبده ليكون للعالمين نذيرا}[٥٥].

٣- بيان أن مهمة النبي صلى الله عليه وسلم التبشير بما عند الله من الفوز والنجاح والفلاح لمن اتبع سبل الرشاد، والإنذار بما عنده من العقاب لمن أعرض عن شرعه.

٤- الموازنة الأخروية بين نعيم المتقين في جنات النعيم، وعذاب الكافرين في نار الجحيم.

٥- خطاب الرسول صلى الله عليه وسلم ومن بعده من الدعاة بالتحلي بالصبر والمصابرة، ومجاهدة الكافرين بحجج القرآن البالغة، والأمر بالتوكل على الله، فهو سبحانه {نعم المولى ونعم النصير}[٥٦].

٦- ذِكْر مصارع المكذبين من الأمم السابقة، كقوم موسى، ونوح، وعاد، وثمود، وأصحاب الرس، وما بين ذلك من قرون، وعرض نهايتهم التعيسة في سلسلة من مشاهد القيامة.

٧- بيان صفات عباد الرحمن المتقين، وأن من صفاتهم التي استحقوا بها هذا الوصف أنهم يمشون في الأرض هوناً من غير تكبر ولا خيلاء ولا استعلاء على الناس، وأنهم يقومون من الليل طاعة له سبحانه، وأنه مقتصدون في أمرهم كله، وأنهم لا يقربون الفواحش ما ظهر منها وما بطن.

٨- خُتمت آيات هذه السورة بالحديث عن هوان البشرية على الله سبحانه، لولا القلوب الضارعة الطائعة المستجيبة، العارفة بالله في هذا القطيع الشارد الضال من المكذبين والجاحدين[٥٧].

المطلب الخامس: أهمية سورة الفرقان.

إن محور سورة الفرقان هو الحديث عن القرآن الكريم باعتباره معجزة رسول الله صلى الله عليه وسلم ودليل صدقه. وعند النظر إلى المحور من الزوايا المنهجية التي حددناها للتعرف على محور السورة لوجدناها كلها تشير إلى (القرآن المعجزة). كما أن النظر إلى المحور من زاوية اسم السورة فاسمها (الفرقان)، ولو نظرنا إلى الافتتاحية والخاتمة للسورة لوجدناهما تتحدثان عن القرآن المنزل المشتمل على الهدايات. ولو نظرنا إلى الفترة الزمنية لسورة الفرقان لوجدناها من السور المكية للمرحلة الثالثة فيها – كما تقدَّم – ومن موضوعات المرحلة المكية الأساسية الرسالة والنبوة وما يتعلق بها وما يدل على صدق الرسول صلى الله عليه وسلم ويكون دليل نبوته. إن سورة الفرقان تناولت دلائل النبوة من خلال معجزة القرآن.ولو نظرنا إلى المقاطع وجُلّ الموضوعات التي اشتملت عليها السورة لوجدناها تدور حول القرآن ورد الشبهات عليه، وحول الرسول والدفاع عنه، وعن رسالته المتمثلة في القرآن العظيم. فمحور السورة الأساس إذن هو: تصديق الرسول صلى الله عليه وسلم من خلال معجزة القرآن [٥٨].

المطلب السادس: ضرورة سورة الفرقان.

تتمثل ضرورة سورة الفرقان في كونها:

١- تبين سورة الفرقان أن الله سبحانه قد نزل القرآن على رسوله صلى الله عليه وسلم منجماً على مراحل وفترات تثبيتاً للقلوب، وتلاوته حق تلاوته، وحفظه في الصدور. – عالمية الرسالة المحمدية، وأنها للناس كافة، وليست للعرب خاصة[٥٩].

قال الطيبي: مدار هذه السورة على كونه صلى الله عليه وسلم مبعوثاً إلى الناس كافة، ينذرهم ما بين أيديهم وما خلفهم؛ ولهذا جعل براعة استهلالها قوله: {تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَى عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيرًا}[٦٠].

٢- تبين سورة الفرقان أن مهمة النبي صلى الله عليه وسلم التبشير بما عند الله من الفوز والنجاح والفلاح لمن اتبع سبل الرشاد، والإنذار بما عنده من العقاب لمن أعرض عن شرعه.

٣- يتبين من سورة الفرقان الموازنة الأخروية بين نعيم المتقين في جنات النعيم، وعذاب الكافرين في نار الجحيم.

٤- توجه السورة الخطاب إلى الرسول صلى الله عليه وسلم ومن بعده من الدعاة بالتحلي بالصبر والمصابرة، ومجاهدة الكافرين بحجج القرآن البالغة، والأمر بالتوكل على الله، فهو سبحانه: {نِعْمَ الْمَوْلَى وَنِعْمَ النَّصِيرُ}[٦١].

٥- ذَكَرت السورة مصارع المكذبين من الأمم السابقة، كقوم موسى، ونوح، وعاد، وثمود، وأصحاب الرس، وما بين ذلك من قرون، وعرض نهايتهم التعيسة في سلسلة من مشاهد القيامة.

٦- بينت السورة صفات عباد الرحمن المتقين، وأن من صفاتهم التي استحقوا بها هذا الوصف أنهم يمشون في الأرض هوناً من غير تكبر ولا خيلاء ولا استعلاء على الناس، وأنهم يقومون من الليل طاعة له سبحانه، وأنه مقتصدون في أمرهم كله، وأنهم لا يقربون الفواحش ما ظهر منها وما بطن.

٧- خُتمت آيات هذه السورة بالحديث عن هوان البشرية على الله سبحانه، لولا القلوب الضارعة الطائعة المستجيبة، العارفة بالله في هذا القطيع الشارد الضال من المكذبين والجاحدين[٦٢].

الفصل الثاني
التناسب بين سورتي الفرقان والنور

تمهيد:

إن التناسب يعني الارتباط الائتلاف، ويَّعرفه الإمام البقاعي، بأنه: " علم تعرف منه علل ترتيب أجزائه، وهو سر البلاغة، لأدائه إلى تحقيق مطابقة المعاني لما اقتضاه الحال، وتتوقف الإجازة فيه على معرفة مقصود السورة المطلوب ذلك فيها، ويفيد ذلك في معرفة المقصود من جميع جملها، فلذلك كان هذا العلم في غاية النفاسة"، ويقول الامام فخر الدين الرازي: " أكثر لطائف القرآن مودعة في الترتيبات والروابط"، ويقول الامام الزركشي: " اعلم أن المناسبة علم شريف تحرز به العقول، ويعرف به قدر القائل فيما يقول"، ويقول ابن العربي: " ارتباط آيات القرآن الكريم بعضها ببعض حتى تكون كالكلمة الواحدة منسقة المعاني، منتظمة المعاني علم عظيم"[٦٣].وبالنسبة للتناسب بين سورتي الفرقان والنور، فيظهر جلياً مناسبة سورة الفرقان لسورة النور من وجوه: أهمها: أن سورة النور ختمت بأن الله تعالى مالك جميع ما في السموات والأرض، وبدئت سورة الفرقان بتعظيم الله الذي له ملك السموات والأرض من غير ولد ولا شريك في الملك.ومن خلال هذا الفصل سوف أتناول في مبحث أول التعريف بعلم المناسبة في سور القرآن الكريم، يتفرع عنه عدة مطالب، ثم في مبحث ثاني أتناول المناسبة بين سورتي النور والفرقان يتفرع عنه عدة مطالب.

المبحث الأول: التعـــريـــــف بعلم المناسبة في سور القرآن الكريم وأهميته وموضوعه وتطوره.

المطلب الأول: التعريف بعلم المناسبة.

المناسبة في اللغة: المقاربة والمشاكلة والمماثلة، يُقال: فلان يناسب فلاناً أي: يقرب منه ويشاكله. ومنه: النسيب هو القريب المتصل كالأخوين وابن العم، ونحوه. ومنه: المناسبة في العلة من باب القياس أي: الوصف المقارب للحكم؛ لأنه إذا حصلت مقاربته له ظن عند وجود ذلك الوصف وجود

الحكم، ولهذا قيل: المناسبة أمر معقول إذا عُرِضَ على العقول تلقته بالقبول[٦٤] .وهي المقاربة والمشاكلة. يقال : فلان يناسب فلاناً ، أي يقاربه ويشاكله. ومنه النسيب الذي هو القريب المتصل بغيره ، كالأخ وابن العم[٦٥].

المناسبة في الاصطلاح: يقال للمناسبة الرابطة بين شيئين بأي وجه من الوجوه، ويعنى بها في كتاب الله – تعالى –: إدراك أوجه الارتباط بين السور وما قبلها وما بعدها، وبين الآية وما قبلها وما بعدها. فالمناسبة علم تعرف منه علل الترتيب بين أجزاء القرآن وهي سر البلاغة في أدائه، وتحقيق مطابقة المقال لما اقتضاه الحال[٦٦] ، وكذلك تعرف المناسبة اصطلاحاً : هي علم تعرف منه علل ترتيب أجزاء القرآن[٦٧].

المطلب الثاني: أهميـــة علـم المناسبـة.

علم المناسبات علم جليل القدر وقد نبه إلى أهميته عدد من العلماء من أبرزهم الفخر الرازي حيث قال: «أكثر لطائف القرآن مودعة في الترتيبات والروابط». وقال السيوطي في معترك الأقران: «علم المناسبة علم شريف قل اعتناء المفسرين به لدقته»[٦٨].وقال البقاعي في نظم الدرر: «وهو سر البلاغة؛ لأدائه إلى تحقيق مطابقة المعاني لما اقتضاه من الحال، وتتوقف الإجازة فيه على معرفة مقصود السورة المطلوب ذلك فيها، ويفيد ذلك في معرفة المقصود من جميع جملها، فلذلك كان هذا العلم في غاية النفاسة ، وكانت نسبته من علم التفسير كنسبة علم البيان من النحو». وقال العز بن عبدالسلام فيه: « المناسبة علم حسن، لكن يشترط في حسن ارتباط الكلام أن يقع في أمر متحد مرتبط أوله بآخره»[٦٩].وقد عبر عنه الإمام عبدالحميد الفراهي رحمه الله بـــ(نظام القرآن)، وبعضهم يبحثه تحت ما يسمى بـــ (الوحدة الموضوعية)[٧٠] .

المطلب الثالث: موضوع علم المناسبة وثمره.

أولاً: موضوع علم المناسبة: هو أجزاء الشيء المطلوب علم مناسبته من حيث الوقوف على طرق الترتيب وعلله[٧١] .

ثانياً: ثمرة علم المناسبة: ثمرته الاطلاع على الرتبة التي يستحقها الجزء بسبب تعلقه بالكل، وارتباطه بما وراءه وما أمامه ارتباطاً كلُحمة النسب؛ بحيث تبدو أجزاء الكلام وقد أخذ بعضها بأعناق بعض. وتتوقف معرفته، وثمرته، والإجادة فيه على إدراك مقصود كل سورة في كل جملها القرآنية؛ ومن أجل ذلك كان هذا العلم في غاية النفاسة[٧٢].

المطلب الرابع: تحقيق ظهور علم المناسبة وتطوره.

اشتهر بين أهل العلم أن كتب التاريخ، وعلوم القرآن الكريم لَمْ تحمل لنا خبراً عن نشأة علم المناسبات القرآنية قبل نهاية القرن الثالث الهجري حيث عرفت بداياته في بغداد على يد (أبي بكر

النيسابوري) المتوفى ٣٢٤هـ. وفي ذلك يقول الشيخ أبو الحسن الشهراباني:[٧٣] «أول من أظهر ببغداد علم المناسبة ــ ولم نكن سمعناه من غيره ــ هو الشيخ الإمام أبو بكر النيسابوري، وكان غزير العلم في الشريعة والأدب، كان يقول على الكرسي إذا قُرئت عليه الآية: لِمَ جعلت هذه الآية إلى جنب هذه؟ وما الحكمة في جعل هذه السورة إلى جنب هذه السورة؟ وكان يُزري على علماء بغداد لعدم علمهم بالمناسبة» [٧٤]. على أن أول من أفرد علم المناسبات القرآنية بالتصنيف هو (أبو جعفر أحمد بن إبراهيم بن الزبير الأندلسي) النحوي الحافظ المتوفى (٨٠٧هـ) صاحب [البرهان في مناسبة ترتيب سور القرآن]. و[ملاك التاويل]، وهو: شيخ أبي حيان (٧٥٤هـ) صاحب [البحر المحيط][٧٥]. وفي ذلك يقول الغماري الحسني نظماً:وابـــن الزبير في برهانه قد كان أول من سطرْ إذ جـاء فيـــه مُجَلِّياً يتلوه بحر قد زخر[٧٦]. ثم جاء دور (برهان الدين البقاعي) ت ٨٨٥ هـ فكتب سِفْره [نظم الدرر في تناسب الآي والسور] وهو تفسير التزم فيه بيان مناسبة الآي والسور، وقال في مقدمته: «وسميته: نظم الدرر في تناسب الآي والسور، ويناسب أن يسمى: فتح الرحمن في تناسب أجزاء القرآن. وأنسب الأسماء له: ترجمان القرآن ومبدي مناسبات الفرقان(٢٣). وذكر في كتابه الذي رد به على الحافظ السخاوي: «أنه ألفه في مدى أربع عشرة سنة»[٧٧].ووصف شأن علم المناسبات وأثره فقال: «وبهذا العلم يرسخ الإيمان في القلب ويتمكن من اللب؛ وذلك أنه يكشف للإعجاز طريقين:

أحدهما: نظم كل جملة على حيالها بحسب التركيب.

والثاني: نظمها مع أختها بالنظر إلى الترتيب. والأول أقرب تناولاً، وأسهل تذوقاً؛ فإن كل من سمع القرآن من ذكي وغبي يهتز لمعانيه وتحصل له عند سماعه روعة بنشاط، ورهبة مع انبساط لا تحصل عند سماع غيره. وكلما دقق النظر في المعنى عظُم عنده موقع الإعجاز، ثم إذا عَبَرَ الفَطِنُ من ذلك إلى التأمل ربط كل جملة بما تليه وما تلاها خفي عليه وجهة ذلك، ورأى أن الجمل متباعدة الأغراض متنائية المقاصد فظن أنها متنافرة، فحصل له من القبض والكرب أضعاف ما كان حصل له بالسماع من الهز والبسط، وربما أشكله ذلك وزلزل إيمانه وزحزح إيقانه... فإذا استعان بالله وأدام الطَّرْق لباب الفرج بإنعام التأمل، وإظهار العجز، والوقوف بأنه الذروة من إحكام الربط كما كان في الأوج من حسن المعنى انفتح له ذلك الباب، ولاحت له من ورائه بوارق أنوار تلك الأسرار، ورقص الفكر منه طرباً وشكراً لله استغراباً وعجباً، وشاط لعظمة ذلك جنانه، فرسخ من غير مِرْيَة إيمانه»[٧٨]. ويعد كتاب (نظم الدرر) أوسع مصادر هذا العلم ذكراً للمناسبات القرآنية بين **آيات القرآن الكريم سورة سورة**[٧٩].وقد أطال البقاعي النفس في كتابه «مصاعد النظر للإشراف على مقاصد السور» في وصف علم المناسبات، فذكر أصله وسره، وحقيقته، وبيان الداعي إليه، وتعريفه، ونسبته، وكيفيته، والإجادة فيه، وعرّج على كتابة «نظم الدرر» فربط بينه وبين علم

المناسبات فقال: «هذا؛ وإن العلم الذي أفاض الله ــ وله الحمد ــ عليّ، أصله: بذل الرقة والانكسار، والتضرع والافتقار لأدق العلوم أمراً، وأخفاها سراً، وأعلاها قدراً؛ لأنه في الحقيقة إظهار البلاغة من الكتاب العزيز، وبيان ذلك في كل جملة من جمله؛ فإن البلاغة مناسبة المقال لمقتضى الحال. وهذا الكتاب لبيان الداعي إلى وضع كل جملة في مكانها، وإقامة حجتها في ذلك وبرهانها؛ لأن هذا العلم تعرف منه علل الترتيب.

وثمرته: الاطلاع على المرتبة التي يستحقها الجزء بسبب ما له بما وراءه، وما أمامه من الارتباط والتعلق الذي هو كلُحمة النسب. وتتوقف الإجادة فيه على معرفة السورة المطلوب ذلك فيها.ونسبته: من علم التفسير كنسبة علم المعاني والبيان من النحو فهو غاية العلوم»[٨٠] .وجعل اسم كتابه: (مصاعد النظر للإشراف على مقاصد السور)، دالاً عليه، فقال: « فتعريف هذا العلم هو اسم هذا الكتاب المصنف فيه علم يعرف منه مقاصد السور. وموضوعه: آيات السور، كل سورة على حالها. وغايته: معرفة الحق من تفسيره كل آية من تلك السور. ومنفعته: التبحر في علم التفسير؛ فإنه يثمر التسهيل له والتيسير. ونوعه: التفسير، ورتبته: أوله، فيشتغل به قبل الشروع فيه؛ فإنه كالمقدمة له من حيث أنه كالتعريف؛ لأنه معرفة تفسير كل سورة إجمالاً. وأقسامه: السور. وطريقة السلوك في تحصيله: جمع جميع فنون العلم»[٨١] .وكتب (جلال الدين السيوطي) ت ٩١١هـ (أسرار التنزيل)[٨٢]ووصفه بأنه الباحث عن أساليب القرآن، المُبَرِّز أعاجيبه، المُبَيِّن لفصاحة ألفاظه وبلاغة تراكيبه، الكاشف عن وجه إعجازه، الداخل إلى حقيقته من مجازه، المطلع على أفانينه، المبدع في تقرير حججه وبراهينه، فإنه اشتمل على بضعة عشر نوعاً:الأول: بيان مناسبات ترتيب سوره، وحكمة وضع كل سورة منها.الثاني: بيان أن كل سورة شارحة لما أجمل في السورة التي قبلها.الثالث: وجه اعتلاق فاتحة الكتاب بخاتمة التي قبلها.الرابع: مناسبات مطلع السورة للمقصد الذي سيقت له، وتلك براعة الاستهلال.الخامس: مناسبة أوائل السور لأواخرها.السادس: مناسبات ترتيب آياته، واعتلاق بعضها ببعض، وارتباطها وتلاحمها وتناسقها.السابع: بيان أساليبه في البلاغة، وتنوع خطاباته وسياقاته.الثامن: بيان ما اشتمل عليه من المحسنات البديعية على كثرتها، كالاستعارة، والكناية، والتعريض، والالتفات، والتورية، والاستخدام، واللف، والنشر، والطباق، والمقابلة، وغير ذلك، والمجاز بأنواعه، وأنواع الإيجاز والإطناب.التاسع: بيان فواصل الآي، ومناسباتها للآي التي ختمت بها.العاشر: مناسبة أسماء السور لها.الحادي عشر: بيان أوجه اختيار مرادفاته دون سائرها.الثاني عشر: بيان القراءات المختلفة، مشهورها، وشاذها، وما تضمنته من المعاني والعلوم، فإن ذلك من جملة وجوه إعجازه.

الثالث عشر: بيان وجه تفاوت الآيات المتشابهات في القصص وغيرها بالزيادة والنقص، والتقديم والتأخير وإبدال لفظة مكان أخرى، ونحو ذلك[٨٣]. ثم خص السيوطي نوع «مناسبات ترتيب

السور» من بين هذه الأنواع بمزيد عناية لما لاحظ قلة من تكلم فيه فقال: «وقد أردت أن أفرد جزءاً لطيفاً في نوع خاص من هذه الأنواع، هو: (مناسبات ترتيب السور) ليكون عجالة لمريده، وبغية لمستفيده، وأكثره من نتاج فكري، وولاد نظري، لقلة من تكلم في ذلك، أو خاض في هذه المسالك، وما كان فيه لغيري صرحت بعزوه إليه، ولا أذكر منه إلا ما أستحسن ولا انتقاد عليه، وقد كنت أولاً سميته (نتائج الفِكَر في تناسب السور) لكونه من مستنتجات فكري كما أشرت إليه، ثم عدلت وسميته (تناسق الدرر في تناسب السور)[٨٤] لأنه أنسب بالمسمى، وأزيد بالجناس»[٨٥]. كما كتب في علم المناسبات والمقاصد القرآنية كتاباً آخر سماه (مراصد المطالع في المقاطع والمطالع)[٨٦].

وخص النوع الثاني والستين من كتابه (الإتقان في علوم القرآن) بالحديث عن [مناسبات الآيات والسور]، ذكر فيه أغلب ما ذكره الزركشي في (البرهان)، وزاد عليه في الأمثلة[٨٧].وله كتاب في (أسرار التنزيل) قال عنه الغُماري: «وللحافظ السيوطي كتاب في أسرار التنزيل وصفه بأنه جامع لمناسبات السور والآيات. مع ما تضمنه من بيان وجوه الإعجاز وأساليب البلاغة سماه (قطف الأزهار في كشف الأسرار)[٨٨] ثم وصفه بقوله: كتب السيوطي التناسق للدرر[٨٩].ثم كتب الغماري نفسه (جواهر البيان في تناسب سور القرآن) تابع فيه جهود من قبله وقالب مثل كتابهم بحثاً يؤيده النظر أعملت فيه قريحتي واخترت أنسب الفكر وفتحت بعض المغلقات من آي الكتاب ومن سور وأتيت من عين المسائل بالبدائع والغرر لُهِمْتُ من فيض الإله بفيض فضل مُدَّخر حمداً لواهب فضله وله التطوُّل إذ ستر وصلاته دوما على خير البرية من مُضَر[٩٠].وقال في مقدمته: «أما بعد: فقد أردت بمشيئة اللّه – تعالى – أن أبيِّن في هذا الكتاب مناسبات سور القرآن الكريم بعضها لبعض، حسب ترتيبها في المصحف الشريف. وهذا فن عزيز، قلَّ من تعرض له من العلماء على كثرة من تعرض منهم لفنون القرآن المتنوعة مثل تفسيره، وإعرابه، وقراءاته، وتجويده، واستنباط أحكامه، وقصصه، وغير ذلك؛ سميته (جواهر البيان في تناسب سور القرآن) والله أسأل، وإليه بكتابه العزيز أتوسل أن يوفقني ويلهمني رشدي، وأن يفرج كربتي، ويذهب عني غمتي، إنه قريب مجيب»[٩١].وفي كلامه عن المسألة الثالثة قال: «المناسبة علم شريف عزيز، قلَّ اعتناء المفسرين به لدقته واحتياجه إلى مزيد فكر وتأمل. وهو نوعان:

أحدهما: مناسبة الآي بعضها لبعض بحيث يظهر ارتباطها وتناسقها كأنها جملة واحدة.

وثانيهما: مناسبة السور بعضها لبعض، وأول من أفرد هذا النوع بالتأليف ــ فيما أعلم ــ العلامة أبو جعفر بن الزبير الأندلسي، شيخ العلامة أبي حيان؛ ألف كتاباً سماه: (البرهان في مناسبة ترتيب سور القرآن) ثم كتب الحافظ السيوطي كتابه (تناسق الدرر في تناسب السور) لخصه من كتابه (قطف الأزهار في كشف الأسرار)، ثم قال: «وكتابي هذا ثالث كتاب في هذا العلم الشريف ألهمنيه الله وله الحمد والمنة، وهو أنواع ثلاثة أحدها: التناسب بين السورتين في موضوعيهما، وهو الأصل

وثانيها: التناسب بين فاتحة السورة والتي قبلها كالحواميم وثالثها: مناسبة فاتحة السورة لخاتمة ما قبلها، مثل (وإدبار النجوم ــ والنجم إذا هوى) و (فجعلهم كعصف مأكول.. لإيلاف قريش).وأضاف نوعاً رابعاً فقال: «ويُوجد نوع رابع من المناسبة هو مناسبة فاتحة السورة لخاتمتها".أما السيوطي فقد أفرده بالتأليف، وكتب فيه جزءاً صغيراً سماه (مراصد المطالع في تناسب المقاطع والمطالع) ويدخل في هذا النوع (رد العجز على الصدر) وهو من المحسنات البديعية»[٩٢] . ثم إن علم المناسبات القرآنية قد عرف طريقه إلى اهتمامات البحاثة المتأخرين بعد أن قرر الأزهر مادة التفسير الموضوعي على طلبته؛ إذ لا تستقيم دراسة التفسير الموضوعي إلا أن ترتبط بدراسة علم المناسبات القرآنية لما بينهما من لُــحمة وارتباط وثيق صلة؛ فكلاهما متمم للآخر ودال عليه.فكتب (د. محمد عبد الله دراز) في التناسب القرآني، وأطال النفس في مناسبات السورة الواحدة، وألح على ضرورة التعرض لذلك على الخصوص؛ تحقيقاً لمفهوم التناسب الكلي للسورة القرآنية دون إيغال في تحقيق الصلة بين الجزء والجزء إلى حد الاتحاد أو التماثل أو التداخل غاضين البصر عن النظام الكلي الذي وضعت عليه السورة في جملتها [٩٣]، فخرج كتاب (النبأ العظيم) مثالاً موفقاً في بيان جلالة (علم المناسبات) وضرورته في فهم كتاب الله الحكيم.وكحال كل فن له مؤيدوه؛ فإن الضرورة تقتضي ظهور من يعارضه ممن يرون ما لا يراه الفريق الآخر، ويأتون على دعواهم بما يدل عليها، وقد يكون الخلاف بين الفريقين لفظياً، كما يكــــون سر الخلاف فـــي تنزيـــه كل فريـــق لموضوع البحث عما لا يليق به بحسب زاوية رؤيته له.فكان لعلم المناسبات القرآنية معارضون، وهم وإن كانوا قلة، إلا أن رأيهم محل بحث ودرس. فقد ذكر الزركشي في كتابه (البرهان) تحفُّظ الشيخ عز الدين عبد السلام ت ٦٦٠هـ على القول بالمناسبات في القرآن فقال: «وقال الشيخ عز الدين عبد السلام: (المناسبة علم حسن، ولكن يشترط في حسن ارتباط الكلام أن يقع في أمر متحد مرتبط أوله بآخره، فإن وقع على أسباب مختلفة لم يشترط فيه ارتباط أحدهما بالآخر، ومن ربط فهو متكلف بما لا يقدر عليه إلا بربط ركيك يصان عنه حسن الحديث فضلاً عن أحسنه؛ فإن القرآن نزل في نَيِّف وعشرين سنة في أحكام مختلفة ولأسباب مختلفة، وما كان كذلك لا يأتي ربط بعضه ببعض» [٩٤] .كما نُقل عن (الإمام أبي حيان) صاحب (البحر المحيط) كلامٌ شبيه بكلام الشيخ عز الدين عبد السلام[٩٥] . وأنكر أبو العلاء محمد غانم المعروف بـــ «الغانمي» اشتمال القرآن الكريم على أحد أنواع الارتباط بين الآيات القرآنية وهو المسمى بـــ (حسن التخلص)، وقال: إن القرآن إنما وقع على الاقتضاب الذي هو طريقة العرب في الانتقال إلى غير ملائم[٩٦] .

وذكر (الشوكاني) صاحب تفسير (الفتح القدير) حجج المنكرين لهذا اللون من الارتباط بين الآيات، ونحا نحوهم، وضرب على بعض الأمثلة [٩٧] . فعند تفسيره لقوله – تعالى –: ﴿ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَوْفُوا بِعَهْدِي أُوفِ بِعَهْدِكُمْ وَإِيَّايَ فَارْهَبُونِ﴾ [٩٨] ، يقول:

أعلم كثيراً من المفسرين جاؤوا بعلم متكلف واستغرقوا أوقاتهم في فن لا يعود عليهم بفائدة بل أوقعوا أنفسهم في التكلم بمحض الرأي المنهي عنه في الأمور المتعلقة بكتاب الله – تعالى –، وذلك أنهم أرادوا أن يذكروا المناسبة بين الآيات القرآنية المسرودة على هذا الترتيب الموجود في المصاحف؛ فجاؤوا بتكلفات وتعسفات يتبرأ منها الإنصاف، ويتنزه عنها كلام البلغاء فضلاً عن كلام الرب – سبحانه – حتى أفردوا ذلك بالتصنيف وجعلوه المقصد الأهم من التأليف كما في تفسيره»[٩٩].إلا أن أوسع مقال في الرد على أصحاب المناسبات ما كتبه الشيخ محمد بن عبد الغزنوي ت ١٢٩٦هـ.. قال[١٠٠]: «اعلم أن كثيراً من المفسرين جاؤوا بعلم متكلف وخاضوا في بحر لم يكلفوا سباحته، بل أوقعوا أنفسهم في التكلم بمحض الرأي المنهي عنه في الأمور المتعلقة بكتاب اله – سبحانه –؛ وذلك أنهم أرادوا أن يذكروا المناسبة بين الآيات القرآنية المسرودة على هذا الترتيب الموجود في المصاحف، فجاؤوا بتكلفات يتبرأ منها الإنصاف ويتنزه عنه كلام البلغاء فضلاً عن كلام الرب – سبحانه –، حتى أفردوا ذلك بالتصنيف وجعلوه المقصد الأهم من التأليف كما فعله البقاعي في تفسيره ومن تقدمه ومن تأخر عنه.إن ما ذهب إليه العز بن عبد السلام وأبو حيان والغنمي والشوكاني والغزنوي هو مما فيه بعض عذر؛ فقد ضربوا أمثلة على تمحُّل القائلين بالمناسبة في القرآن، وأن اشتراط ذلك لا يليق لوقوع السور والآيات على أسباب وأزمان مختلفة يتأتى فيها تغاير الدواعي والعلل، وأن من سعى إلى البحث عن ذلك التناسب فقد تكلف ما لا يطيق، وإن قدر فهي مقدرة تؤدي إلى ربط ركيك يصان عنه كلام رب العالمين.

المطلب الخامس: أهم من اعتنى بعلم المناسبة.

من أبرز من اعتنى بعلم المناسبة من العلماء:

١- أبو بكر النيسابوري رحمه الله ، حيث كان كثير العلم في الشريعة والأدب ، وكان يقول على الكرسي في بغداد إذا قرئت عليه الآية: لمَ جعلت الآية جنب هذه؟ وما الحكمة في جعل هذه السورة في جنب هذه السورة؟ وكان يزري على علماء بغداد لعدم علمهم بالمناسبة. وقد نسب السيوطي رحمه الله إليه أنه أول من سبق إلى هذا العلم. والصحيح أن أولية علم المناسبة القرآنية غير واضحة تمام الوضوح إلى الآن ، ولا سيما مع بقاء كثير من مصادر التفسير وعلوم القرآن مخطوطة بعيدة عن أيدي الباحثين. وقد كتب الدكتور عبد الحكيم الأنيس في مسألة نشأة علم المناسبات بحثاً ضافياً في مجلة (الأحمدية) التي تصدر عن دار البحوث للدراسات الإسلامية وإحياء التراث في دبي بالإمارات العربية المتحدة، بين فيه أقوال العلماء في نشأة هذا العلم ، وخلص إلى عدم وضوح الرؤية في هذه المسألة ، وبين صواب ما ذكره السيوطي وأكثر الباحثين من بعده[١٠١] .[١٠١]

٢- فخرالدين الرازي رحمه الله ، حيث تميز بالإكثار من التماس المناسبات في تفسيره ، وقال: «إني رأيت جمهور المفسرين معرضين عن هذه اللطائف غير منبهين لهذه الأسرار وليس الأمر في هذا الباب إلا كما قيل:والنجم تستصغر الأبصار رؤيته والذنب للطرف لا للنجم في الصغر.

٣- أبو الحسن الحرالي المغربي (٦٣٧هـ) ويتهم البقاعي بأنه قد أخذ كل ما في كتابه (نظم الدرر) من كتابه. يقول المناوي في الكواكب الدرية[١٠٢] في ترجمة الحرالي: (وصنف تفسيراً ملأه بحقائقه، ودقائق فكره، ونتائج قريحته، وأبدى فيه من مناسبات الآيات والسور ما يبهر العقول، وتحار فيه الفحول، وهو رأس مال البقاع، ولولاه ما راح ولا جاء، ولكنه لم يتم، ومن حيث وقف حال البقاعي في مناسباته).

٤- أبو جعفر أحمد بن إبراهيم بن الزبير الغرناطي رحمه الله وله في ذلك كتاب البرهان في ترتيب سور القرآن ، وهو كتاب ثمين.

٥- البقاعي رحمه الله في كتابه نظم الدرر في تناسب الآيات والسور ، وكتابه مؤلف مستقل لتلمس المناسبات بين الآيات والسور وهو كتاب نفيس في بابه.

٦- ابن النقيب الحنفي ، حيث تصدى في تفسيره لذكر المناسبات.

٧- السيوطي رحمه الله فقد ألف كتابه تناسق الدرر في تناسب السور ، وكتاب أسرار التنزيل.

٨- الشيخ محمد عبده رحمه الله في تفسير المنار الذي جمعه وأتمه رشيد رضا ، حيث كان له عناية بعلم المناسبة.

٩ – من المعاصرين الأستاذ سيد قطب رحمه الله في كتابه «في ظلال القرآن» ، وفي كتابه الآخر «التصوير الفني في القرآن» [١٠٣]وقد أبدع في إبراز ألوان من التناسق الفني في التصوير القرآني.

١٠- الشيخ مصطفى المراغي رحمه الله في تفسيره.

١١- الشيخ عبدالله بن الصديق الغماري في كتابه «جواهر البيان في تناسب سور القرآن».

١٢- الشيخ طاهر الجزائري رحمه الله حيث تكلم عنه وعن أهميته وفوائده في كتابه التبيان لبعض المباحث المتعلقة بالقرآن.

١٣- الفراهي في تفسيره نظام الفرقان[١٠٤].

المطلب السادس: آراء بعض العلماء في علم المناسبة.

عارض عدد من العلماء البحث عن المناسبات، وقالوا بأنه علم متكلف، ولا يطلب للآية الكريمة مناسبة لكونها نزلت متفرقة على حسب الوقائع والأحداث. ومنهم :

١- ولي الدين الملوي ، ذكره السيوطي في معترك الأقران.

٢- العز بن عبدالسلام حيث شرط للقول بالمناسبة أن يقع الكلام في أمر متحد مرتبط أوله بآخره ، فإن وقع على أسباب مختلفة لم يقع فيه ارتباط ، ومن ربط ذلك فهو متكلف بما لا يقدر عليه إلا

بربط ركيك يصان عن مثله حسن الحديث فضلاً عن أحسنه ، فإن القرآن نزل في نيف وعشرين سنة في أحكام مختلفة شرعت لأسباب مختلفة وما كان كذلك لا يتأتى ربط بعضه ببعض.

٣- الإمام الشوكاني رحمه الله حيث قال في تفسيره فتح القدير عند تفسيره للآية رقم ٤٢ من سورة البقرة: «اعلم أن كثيراً من المفسرين جاءوا بعلم متكلف ، وخاضوا في بحر لم يكلفوا سباحته ، واستغرقوا أوقاتهم في فن لا يعود عليهم بفائدة ، بل أوقعوا أنفسهم في التكلم بمحض الرأي المنهي عنه في الأمور المتعلقة بكتاب الله سبحانه ، وذلك أنهم أرادوا أن يذكروا المناسبة بين الآيات القرآنية المسرودة على هذا الترتيب الموجود في المصاحف فجاءوا بتكلفات وتعسفات يتبرأ منها الإنصاف ، ويتنزه عنها كلام البلغاء فضلاً عن كلام الرب سبحانه ، حتى أفردوا ذلك بالتصنيف ، وجعلوه المقصد الأهم من التأليف ، كما فعله البقاعي في تفسيره». والكلام طويل فليراجع[١٠٥].

المطلب السابع: مكانة علم المناسبات وكيفية معرفته.

أولاً: مكانة علم المناسبات:

العلم بالمناسبات بين الآيات القرآنية في السورة الواحدة، وبين السور في الكتاب كله أمر ذو خطر عظيم لما له من شأن كبير في الدلالة على تفسير النَّظْم الحكيم تفسيراً موضوعياً باعتباره واحداً من أدق العلوم وأجلِّها ولما يحتاج إليه من حسٍ عال، وتذوق رفيع للأساليب والنظوم، ليس على مرتبة العلاقات اللفظية والمعاني، وإنما على ما فوقها من رُتب تلمس ما وراء النظم من هدايات ولطائف، ومعايشة لجو التنزيل، بل إنه من فرط دقته؛ كثيراً ما يرد إلى ذهن المشتغل به على صورة فيوضات وإشراقات تهز الفكر هزّاً وتمس الروح مسّاً[١٠٦]. لذلك بدت نسبته إلى علم التفسير كنسبة علم البيان إلى علم النحو، فهو علم يُعِين على إدراك مقاصد القرآن الحكيم، وتذوق نَظْمه الراقي، ومعرفة علل ترتيبه نزولياً ومصحفياً، ومطابقة المقال لما اقتضاه الحال، وبيان أوجه الاتصال بين السورة القرآنية وما سيقت له، وأوجه الاتصال بين السورة وما قبلها وما بعدها؛ وذلك أمر يحتمه الاعتقاد الجازم بتنزيه كلام رب العالمين عن المشابهة ناهيك عن التناقض: ﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا ﴾[١٠٧] ، من أجل ذلك كانت المناسبة علماً عزيزاً، قلّ اعتناء المفسرين به لدقته، واحتياجه إلى مزيد فكر وتأمل[١٠٨]، كما كانت علماً شريفاً تحزر به العقول، ويُعرف به قدر القائل فيما يقول[١٠٩] .يقول الغُماري الحسني:علم التناسب للسور علم جليل ذو خطر قد قلّ فيه الكاتبون كما قد عز المُستطر[١١٠] .ويقول الزركشي:«المناسبة أمر معقول إذا عُرض على العقول تلقته بالقبول، وكذلك المناسبة في فواتح الآي وخواتمها؛ فمرجعها يعود إلى معنى ما رابط بينهما: عام أو خاص، عقلي أو حسي أو خيالي، وغير ذلك من أنواع العلاقات، أو التلازم الذهني كالسبب والمسبب،

والعلة والمعلول، والنظيرين والضدين، ونحوه. أو التلازم الخارجي كالمرتب على ترتيب الوجود الواقع في باب الخبر»[١١١].

ثانياً: كيفية معرفة المناسبة. الأمر الكلي المفيد لعرفان مناسبات الآيات في جميع القرآن ، هو أنك تنظر الغرض الذي سيقت له السورة ، وتنظر عند انجرار الكلام في المقدمات إلى ما تستتبعه من استشراف نفس السامع إلى الأحكام واللوازم التابعة له ، التي تقتضي البلاغةُ شفاءَ الغليل بدفع عناء الاستشراف إلى الوقوف عليها. فهذا هو الأمر الكلي المهيمن على حكم الربط بين جميع أجزاء القرآن ، فإن فعله يبين وجه النظم مفصلاً بين كل آية وآية ، في كل سورة وسورة.

المبحث الثاني
المناسبة بين سورة النور وسورة الفرقان.

المطلب الأول: المناسبة في سورة النور.

أولاً: مناسبة أول سورة النور لآخرها

يقول الله سبحانه وتعالى: ﴿ قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ۚ ذَٰلِكَ أَزْكَىٰ لَهُمْ ۗ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا يَصْنَعُونَ * وَقُلْ لِلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا ۖ وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَىٰ جُيُوبِهِنَّ ۖ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا لِبُعُولَتِهِنَّ أَوْ آبَائِهِنَّ أَوْ آبَاءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ أَبْنَائِهِنَّ أَوْ أَبْنَاءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ إِخْوَانِهِنَّ أَوْ بَنِي إِخْوَانِهِنَّ أَوْ بَنِي أَخَوَاتِهِنَّ أَوْ نِسَائِهِنَّ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُنَّ أَوِ التَّابِعِينَ غَيْرِ أُولِي الْإِرْبَةِ مِنَ الرِّجَالِ أَوِ الطِّفْلِ الَّذِينَ لَمْ يَظْهَرُوا عَلَىٰ عَوْرَاتِ النِّسَاءِ ۖ وَلَا يَضْرِبْنَ بِأَرْجُلِهِنَّ لِيُعْلَمَ مَا يُخْفِينَ مِنْ زِينَتِهِنَّ ۚ وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾[١١٢] .هذه الآيات المتعلقة بأحكام غض البصر وإظهار مواضع الفتنة للنساء، جاءتا في سياق حديث القرآن الكريم عن بعض وسائل الوقاية من جريمة الزنا البشعة التي تقطع أواصر المجتمع المسلم وتعمل على تهتكه، وزعزع أمنه واستقراره، وقد سبق هاتين الآيتين الحديث عن الاستئذان وأحكامه؛ لأنه من غير هذا الاستئذان تنتهك الحرمات وتتكشف العورات ويقع المكروه[١١٣]، قال تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَدْخُلُوا بُيُوتاً غَيْرَ بُيُوتِكُمْ حَتَّى تَسْتَأْنِسُوا وَتُسَلِّمُوا عَلَى أَهْلِهَا ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ * فَإِنْ لَمْ تَجِدُوا فِيهَا أَحَداً فَلَا تَدْخُلُوهَا حَتَّى يُؤْذَنَ لَكُمْ وَإِنْ قِيلَ لَكُمُ ارْجِعُوا فَارْجِعُوا هُوَ أَزْكَى لَكُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ * لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَدْخُلُوا بُيُوتاً غَيْرَ مَسْكُونَةٍ فِيهَا مَتَاعٌ لَكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا تَكْتُمُونَ ﴾[١١٤]، ثم جاءت وسيلة الوقاية الثانية وهي الآيتان مدار البحث المتعلقتان بالنظر وإبداء الزينة، ثم جاءت وسيلة الوقاية الثالثة: الزواج، وهو الحل الواقعي الايجابي للوقاية من الوقوع في الزنا وهو الطريق الطبيعي لتلبية

الحاجات والميول الجنسية الفطرية، قال تعالى: ﴿ وَأَنْكِحُوا الْأَيَامَى مِنْكُمْ وَالصَّالِحِينَ مِنْ عِبَادِكُمْ وَإِمَائِكُمْ إِنْ يَكُونُوا فُقَرَاءَ يُغْنِهِمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ * وَلْيَسْتَعْفِفِ الَّذِينَ لَا يَجِدُونَ نِكَاحًا حَتَّى يُغْنِيَهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَالَّذِينَ يَبْتَغُونَ الْكِتَابَ مِمَّا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ فَكَاتِبُوهُمْ إِنْ عَلِمْتُمْ فِيهِمْ خَيْرًا وَآتُوهُمْ مِنْ مَالِ اللَّهِ الَّذِي آتَاكُمْ وَلَا تُكْرِهُوا فَتَيَاتِكُمْ عَلَى الْبِغَاءِ إِنْ أَرَدْنَ تَحَصُّنًا لِتَبْتَغُوا عَرَضَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَمَنْ يُكْرِهْهُنَّ فَإِنَّ اللَّهَ مِنْ بَعْدِ إِكْرَاهِهِنَّ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾[١١٥]النور، ثم بعد ذلك ختم هذا السياق بالتقرير الرباني الذي لا مجال فيه للغموض والتأويل، قال تعالى: ﴿ وَلَقَدْ أَنْزَلْنَا إِلَيْكُمْ آيَاتٍ مُبَيِّنَاتٍ وَمَثَلًا مِنَ الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلِكُمْ وَمَوْعِظَةً لِلْمُتَّقِينَ﴾[١١٦].فكان الحديث عن النظر وأحكامه والزينة وما يظهر منها وما يخفى متوسطاً بين وسيلتين مهمتينللوقاية من جريمة الزنا وهما الاستئذان والزواج. ويناسب الشيخ أبو السعود بين هذه الآية وما قبلها تناسباً يقوم على التلاؤم بين الكل والجزء فيقول: "شروع في بيان أحكام كلية شاملة للمؤمنين كافة يندرج فيها حكم المستأذنين عند دخولهم البيـــوت اندراجاً أولياً [١١٧].

المطلب الثاني: المناسبة في سورة الفرقان.

أولاً: مناسبة أول سورة الفرقان لآخرها.

افتتحت سورة الفرقان بقوله تعالى: ﴿تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَى عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيرًا﴾ وختمت بقوله تعالى: ﴿ قُلْ مَا يَعْبَأُ بِكُمْ رَبِّي لَوْلَا دُعَاؤُكُمْ فَقَدْ كَذَّبْتُمْ فَسَوْفَ يَكُونُ لِزَامًا﴾[١١٨]، فالإنذار وبيان مهمة الرسول وأحواله هو محور السورة عمومًا ومدار الكلام في طرفيها خصوصًا ، وفي قوله تعالى: ﴿ فَقَدْ كَذَّبْتُمْ فَسَوْفَ يَكُونُ لِزَامًا ﴾[١١٩]، ذكر تلهف رسول الله صلى الله عليه وسلم على كونهم لم يؤمنوا، وكونهم كذبوا بالحق، لما جاءهم. ولما أوعدهم في آخر السورة بقوله تعالى: ﴿ فَسَوْفَ يَكُونُ لِزَامًا﴾[١٢٠]، أوعدهم في أول هذه فقال في إثر إخباره بتكذيبهم فسوف يأتيهم ﴿ أَنبَاءُ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ ﴾[١٢١] ، قال ابو حيان في بحره: ومناسبة أول هذه السورة لآخر ما قبلها أنه لما ذكر وجوب مبايعة المؤمنين للرسول وأنهم إذا كانوا معه في أمر مهم توقف انفصال واحد منهم على إذنه وحذر من يخالف أمره وذكر أن له ملك السموات والأرض وأنه تعالى عالم بما هم عليه ومجازيهم على ذلك، فكان ذلك غاية في التحذير والإنذار ناسب أن يفتتح هذه السورة بأنه تعالى منزه في صفاته عن النقائص كثير الخير، ومن خيره أنه ﴿ نَزَّلَ الْفُرْقَانَ﴾ [١٢٢]على رسوله منذراً لهم فكان في ذلك اطماع في خيره وتحذير من عقابه[١٢٣] ، وقال ابن عاشور في التحرير: والمحدَث: الجديد، أي من ذكر بعدَ ذكر يُذكّرهم بما أنزل من القرآن من قبله فالمعنى المستفاد من وصفه بالمحدث غير المعنى المستفاد من إسناد صيغة المضارع في قوله: ﴿ما يأتيهم من ذكر﴾[١٢٤]. فأفاد الأمران أنه ذكر متجدّد مستمر وأن بعضه يعقب بعضاً ويؤيده. وقد

تقدم في سورة الأنبياء، قوله تعالى: ﴿ ما يأتيهم من ذكر من ربّهم محدَث إلاّ استمعوه وهم يلْعَبون لاهية قلوبهم﴾[١٢٥].وذكر اسم الرحمٰن هنا دون وصف الرّب كما في سورة الأنبياء لأن السياق هنا لتسلية النبي صلى الله وسلم على إعراض قومه فكان في وصف مُؤْتي الذكر بالرحمٰن تشنيع لحال المعرضين وتعريض لغباوتهم أن يُعرضوا عمَّا هو رحمة لهم، فإذا كانوا لا يدركون صلاحهم فلا تَذهبْ نفسُك حسراتٍ على قوم أضاعوا نفعهم وأنت قد أرشدتهم إليه وذكرتهم[١٢٦].

المطلب الثالث: المناسبة بين سورتي النور والفرقان.

تظهر مناسبة ورة الفرقان لسورة النور من وجوه: أهمها: أن سورة النور ختمت بأن الله تعالى مالك جميع ما في السموات والأرض، وبدئت سورة الفرقان بتعظيم الله الذي له ملك السموات والأرض من غير ولد ولا شريك في الملك ، وأوجب الله تعالى في أواخر سورة النور إطاعة أمر النبي صلّى الله عليه وسلم، وأبان مطلع الفرقان وصف دستور الطاعة، وهو هذا القرآن العظيم الذي يرشد العالم لأقوم طريق ، وتضمنت سورة النور القول في الإلهيات، وأبانت ثلاثة أنواع من دلائل التوحيد: أحوال السماء نور الأرض، والآثار العلوية من إنزال المطر وكيفية تكون الثلج والبرد، وأحوال الحيوانات، وذكر في الفرقان جملة من المخلوقات الدالة على توحيد الله، كمدّ الظل، والليل والنهار، والرياح والماء، والأنعام[١٢٧].

أولاً- المناسبات بين خاتمة سورة النور وافتتاحية سورة الفرقان:

اختتمت سورة النور بقوله تعالى: ﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَإِذَا كَانُوا مَعَهُ عَلَى أَمْرٍ جَامِعٍ لَمْ يَذْهَبُوا حَتَّى يَسْتَأْذِنُوهُ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَأْذِنُونَكَ أُولَئِكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ فَإِذَا اسْتَأْذَنُوكَ لِبَعْضِ شَأْنِهِمْ فَأْذَنْ لِمَنْ شِئْتَ مِنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمُ اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ * لَا تَجْعَلُوا دُعَاءَ الرَّسُولِ بَيْنَكُمْ كَدُعَاءِ بَعْضِكُمْ بَعْضًا قَدْ يَعْلَمُ اللَّهُ الَّذِينَ يَتَسَلَّلُونَ مِنْكُمْ لِوَاذًا فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَنْ تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ* أَلَا إِنَّ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ قَدْ يَعْلَمُ مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ وَيَوْمَ يُرْجَعُونَ إِلَيْهِ فَيُنَبِّئُهُمْ بِمَا عَمِلُوا وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ [١٢٨].وافتتحت سورة الفرقان بقوله تعالى: ﴿ تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَى عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيرًا * الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُنْ لَهُ شَرِيكٌ فِي الْمُلْكِ وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدَّرَهُ تَقْدِيرًا * وَاتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ آلِهَةً لَا يَخْلُقُونَ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلَقُونَ وَلَا يَمْلِكُونَ لِأَنْفُسِهِمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا وَلَا يَمْلِكُونَ مَوْتًا وَلَا حَيَاةً وَلَا نُشُورًا﴾[١٢٩].

١- ثناء وتحذير: في خاتمة سورة النور الثناء على المؤمنين بالله ورسوله صلى الله عليه وسلم لالتزامهم بآداب الإسلام ومنها توقير رسول الله صلى الله عليه وسلم[١٣٠]. فإذا ضمهم جلس فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم يشاورهم في مهمات المسلمين أو يبحث قضية من القضايا العامة لا ينصرف أحدهم حتى يستأذن رسول الله صلى الله عليه وسلم، لئلا يفتقده عند الحاجة، وهذا الأدب

الإسلامي الرفيع مطلوب من المؤمنين في جميع عصورهم مع قياداتهم الراشدة ، وفي الوقت نفسه حذَّرت الآيات الكريمة المتسللين خفية عن الأنظار، الذين يؤثرون مصالحهم على القضايا العامة، أو يفارقون الجماعة هروباً من المسؤولية وخشية التكاليف وإسناد المهام إليهم، حذَّرتهم من التعرض للفتنة في الدنيا أو العذاب الأليم في الآخرة، فليس لهم من الله من واق يدفع عنهم الفتنة أو العذاب[١٣١].وفي افتتاحية سورة الفرقان: لله المثل الأعلى في الثناء، ومهمة الرسول العظمى الإنذار جاء الثناء على الله جلَّ جلاله بلفظ (تبارك) ومادة البركة تدل على النماء والزيادة، فالمستحق للثناء المطلق هو الله تعالى، والثناء والبركة تدل على صفة الفعل هنا لأن هذه البركة وصلت إلى عباده بإنزال الفرقان على عبده فآمن به من آمن والتزم المؤمنون بهدايته، ومن هذه الهدايات الآداب التي التزم بها المؤمنون في علاقاتهم مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فاستحقوا الثناء من الله تعالى على هذا الالتزام.أما من لم يرفع رأساً بهدايات التنزيل من الحكيم الحميد فلينذره رسول الله صلى الله عليه وسلم من سوء العاقبة (من الفتنة في الدنيا والعذاب الأليم في الآخرة).

٢- توقير رسول الله صلى الله عليه وسلم وتعظيمه:جاء ذلك في خاتمة سورة النور في مظهرين:

أ- عدم انصراف المؤمن بحضرة رسول الله صلى الله عليه وسلم إلا بإذنه، وذلك لبيان الجانب القيادي في شخصه، ولضبط الأمور وتنظيمها في حياة المؤمنين.

ب- وعدم مناداته باسمه المجرد ولا بكنيته؛ وإنما ينادى بلقب الرسالة ﴿ لَا تَجْعَلُوا دُعَاءَ الرَّسُولِ بَيْنَكُمْ كَدُعَاءِ بَعْضِكُمْ بَعْضًا ﴾[١٣٢]. عن ابن عباس قال: "كانوا يقولون: يا محمد، يا أبا القاسم، فنهاهم الله عن ذلك إعظاماً لنبيه صلى الله عليه وسلم، فقالوا: يا نبي الله، يا رسول الله" [١٣٣] .وجاء توقير رسول الله صلى الله عليه وسلم في افتتاحية سورة الفرقان في مظهرين أيضاً:

أ- وصف رسول الله صلى الله عليه وسلم بصفة العبودية المضافة إلى الله تعالى، وهذه الصفة يوصف بها رسول الله صلى الله عليه وسلم في أشرف المقامات وأقربها، وفي مقام النصرة وإبراز الحجة، والقيام بالمهمة، ففي أشرف الأحوال والمقامات في قوله تعالى: ﴿ سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى...﴾[١٣٤] .وفي أقرب المقامات في ليلة المعراج، قال تعالى: ﴿ فَأَوْحَى إِلَى عَبْدِهِ مَا أَوْحَى ﴾[١٣٥] .وفي مقام النصرة وإبراز الحجة في قوله تعالى: ﴿ وَإِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِمَّا نَزَّلْنَا عَلَى عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِنْ مِثْلِهِ وَادْعُوا شُهَدَاءَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴾[١٣٦]وفي مقام الدعوة إلى الله تعالى وهي المهمة العظمى التي كُلِّف بها ففيها تنويه به وثناء عليه صلى الله عليه وسلم، قال تعالى﴿ وَأَنَّهُ لَمَّا قَامَ عَبْدُ اللَّهِ يَدْعُوهُ كَادُوا يَكُونُونَ عَلَيْهِ لِبَدًا ﴾[١٣٧].

ب- عالمية رسالة رسول الله صلى الله عليه وسلم، قال تعالى: ﴿ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيرًا﴾ [١٣٨] .

وهذه ميزة لم يعطها أحد من الأنبياء والمرسلين غيره كما صحَّ في الحديث "أُعْطِيُت خمساً لم يعطهن أحد قبلي... وكان النبي يبعث إلى قومه خاصة وبعثت إلى الناس عامة..."[١٣٩].

٣- مهمة رسول الله صلى الله عليه وسلم العظمى (الإنذار):جاء ذلك في خاتمة سورة النور في قوله تعالى: ﴿ فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَنْ تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾[١٤٠]. والتحذير عن مخالفة أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم لون من الإنذار، وينبغي أن تجتنب المخالفة بكل صورها، فقد أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بالتوحيد فليحذر من الشرك، وأمر بالإيمان بالبعث بعد الموت فليحذر عن إنكار البعث، وأمر بالإيمان بالقرآن وما ورد فيه من الهدايات فليحذر عن تعطيل أحكامه. وأمر بالآداب الإسلامية العامة ومنها طاعة رسول الله صلى الله عليه وسلم وعدم الانصراف إلا بإذنه فليحذر عن مخالفة ذلك، وجاء الثناء باللفظ الصريح على من يلتزم أوامر رسول الله صلى الله عليه وسلم ويتأدبون بالآداب الإسلامية، فالشهادة لهم بالإيمان، وأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بالشفقة عليهم ورعاية حالهم ومصالحهم بالإذن والاستغفار لهم، وفي ضمن ذلك ذكر الشق الثاني لمهمة رسول الله صلى الله عليه وسلم وهي البشارة. هذا وقد جاء ذكر مهمة رسول الله صلى الله عليه وسلم صريحاً في افتتاحية سورة الفرقان في قوله تعالى: ﴿ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيرًا ﴾[١٤١] وحذف المتعلق – الجار والمجرور– لتعم النذارة كل المخالفات عن أمر الله وأمر رسوله صلى الله عليه وسلم في العقائد، والسلوك، والمعاملات، والأخلاق[١٤٢].وفي ضمن ذلك البشارة بالمفهوم المخالفة، فإذا كان نذيراً للعالمين عن المخالفة فهو بشير للطائعين المؤمنين.ففي افتتاحية سورة الفرقان نوع من الارتقاء والتعميم: في الثناء، وفي الذين ورد الثناء عليهم، وفي المهمة.

٤- مظاهر من قدرة الله جلَّ شأنه وعظمته ووحدانيته وتنزيهه:في خاتمة سورة النور نلحظ ذلك في قوله تعالى: ﴿ أَلَا إِنَّ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ قَدْ يَعْلَمُ مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ وَيَوْمَ يُرْجَعُونَ إِلَيْهِ فَيُنَبِّئُهُمْ بِمَا عَمِلُوا وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴾ [١٤٣].

أ- لله ملك السماوات والأرض وما بينهما خلقاً وتقديراً وتدبيراً وإنهاء وتدميراً، وفي تقديم لفظ الجلالة بيان تفرده بذلك.

ب- علمه المحيط بأحوالهم وصفاتهم وإحصاؤه عليهم، للمحاسبة والمجازاة.

ج- علمه المحيط بكلِّ شيء وهو تعميم بعد تخصيص لأن السياق سياق بيان القدرة والعظمة.

وجاءت بعض المظاهر الدالة على القدرة والعظمة والتوحيد في افتتاحية سورة الفرقان في قوله تعالى: ﴿ الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُنْ لَهُ شَرِيكٌ فِي الْمُلْكِ وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدَّرَهُ تَقْدِيرًا﴾ [١٤٤].

د- لله ملك السماوات والأرض، خلقاً وتقديراً وتدبيراً، وفي تقديم الجار والمجرور (له) المتعلق بالخبر المتقدم على المبتدأ فيه الدلالة على الحصر والقصر.

ه- تنزيهه عن الولد والشرك فهو الغني عن ذلك، المنزه عن العجز والحاجة، فمن مظاهر كمال قدرته وعظمته غناه عن المخلوقات.

و- خلق المخلوقات بتقدير، ولا يكون التقدير إلا بناء على العلم المحيط بدقائق الأمور وجلائلها، ويستلزم الحكمة لوضع الشيء المقدر في مكانه المقدر بناء على العلم المحيط.

٥- اليوم الآخر والبعث بعد الموت:

أ) وأنَّ ذلك من خصوصيات الإله الحق.

ب) جاء ذلك في خاتمة سورة النور قوله تعالى: ﴿ ...وَيَوْمَ يُرْجَعُونَ إِلَيْهِ فَيُنَبِّئُهُمْ بِمَا عَمِلُوا ﴾[١٤٥].

ج) وجاء ذلك عند الحديث في افتتاحية سورة الفرقان عن العجز المطلق لآلهتهم المزعومة ﴿ وَاتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ آلِهَةً لَا يَخْلُقُونَ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلَقُونَ وَلَا يَمْلِكُونَ لِأَنْفُسِهِمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا وَلَا يَمْلِكُونَ مَوْتًا وَلَا حَيَاةً وَلَا نُشُورًا﴾[١٤٦].فالله جلَّ جلاله المتفرد بالإماتة والإحياء والنشور والحساب والجزاء[١٤٧].

الخاتمة

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات.فلقد تناولت من خلال هذا البحث موضوعاً غاية في الأهمية، نظراً لكونه يتعلق بسورتين من سور القرآن الكريم، ألا وهما سورتي النور والفرقان ، هذا وقد توصلت الباحثة للعديد من النتائج أبرزها:

١. من عظمة القرآن الكريم والتي تتجلى في وجوه كثيرة من أهمها نظمه البديع، وتناسبه الرفيع، حيث يبذل القائمون على أموره جهوداً كبيرة في ابراز دلائله والوقوف عند اسرار نظمه، وعجائب تناسبه، وابراز وجوه إعجازه والذي عُرف بالتناسب.

٢. إن للمناسبات أهمية عظمى في الترابط بين السور، وفي إحكام السورة والتلاحم بين مقاطعها، وفي إبراز الموضوعات والأهداف في السورة وبيان محورها الأساس.

٣. علم المناسبات علم جليل القدر وقد نبه إلى أهميته عدد من العلماء من أبرزهم الفخر الرازي حيث قال عنه أنه أكثر لطائف القرآن مودعة في الترتيبات والروابط، بينما قال عنه السيوطي أنه في معترك الأقران علم المناسبة علم شريف قل اعتناء المفسرين به لدقته.

٤. سورة النور نزلت في حادثة الإفك وهي تهتم بالآداب الاجتماعية عامة وآداب البيوت خاصة وقد وجّهت المسلمين إلى أسس الحياة الفاضلة الكريمة بما فيها من توجيهات رشيدة وآداب سامية تحفظ المسلم ومجتمعه وتصون حرمته وتحافظ عليه من عوامل التفكك الداخلي والانهيار الخلقي الذي يدمّر الأمم.

٥. أما سورة الفرقان فقد بدأت بالثناء على الله جلّ وعلا "تبارك"، وفيها سجدة في آياتها الستين، واسم السورة هو اسم من أسماء القرآن الكريم "الفرقان" أي الذي يفرّق بين الحقّ والباطل.

٦. تتمثل ثمرة علم المناسبة في أنه ثمرة الاطلاع على الرتبة التي يستحقها الجزء بسبب تعلقه بالكل، وارتباطه بما وراءه وما أمامه ارتباطاً كلُحمة النسب؛ بحيث تبدو أجزاء الكلام وقد أخذ بعضها بأعناق بعض.

٧. يتميز علم المناسبة بأنه ينظم كل جملة على حيالها بحسب التركيب، ونظمها مع أختها بالنظر إلى الترتيب وبيان مكانته العالية فهو العلم بالمناسبات بين الآيات القرآنية في السورة الواحدة، وبين السور في الكتاب كله أمر ذو خطر عظيم لما له من شأن كبير في الدلالة على تفسير النَّظْم الحكيم تفسيراً موضوعياً باعتباره واحداً من أدق العلوم وأجلِّها ولما يحتاج إليه من حسٍ عال وتذوق رفيع للأساليب والنظم.

٨. لقد اعتنى بعلم المناسبات من الأقدمين أبو بكر النيسابوري، وفخر الدين الرازي، وأبو الحسن الحرالي المغربي، وأبو جعفر احمد بن ابراهيم بن الزبير الغرناطي، والبقاعي، وابن النقيب الحنفي، ومن المعاصرين الشيخ محمد عبده، وسيد قطب، ومصطفى المراغي، وعبد الله بن الصديق الغماري، والشيخ طاهر الجزائري، والفراهيدي . كما عارض عدد من العلماء البحث عن المناسبات ، وقالوا بأنه علم متكلف ، ولا يطلب للآية الكريمة مناسبة لكونها نزلت متفرقة على حسب الوقائع والأحداث. ومنهم ولي الدين الملوي، وذكره السيوطي، وانتقده العز بن عبد السلام.

٩. تتمثل المناسبات بين افتتاحية سورة الفرقان وخاتمة سورة النور، ففي خاتمة سورة النور الثناء على المؤمنين بالله ورسوله صلى الله عليه وسلم لالتزامهم بآداب الإسلام ومنها توقير رسول الله صلى الله عليه وسلم، وفي افتتاحية سورة الفرقان بالثناء على الله وأنه سبحانه وتعالى له المثل الأعلى، جاء الثناء على الله جلَّ جلاله بلفظ (تبارك) والتي تدل على النماء والزيادة، وأن مهمة الرسول صلى الله عليه وسلم هي الإنذار ، وتوصي الباحثة بما يلي:

١. بضرورة الحرص على تدريس التناسب والمناسبة في المدارس والمعاهد العلمية من ضمن المقررات في مجال التفسير، كما يجب الوقوف النتائج المترتبة على إعداد مناسبات بين الصور وبعضها البعض. والتوصل إلى توصيات ومقترحات تفيد في مجال المناسبة بين السور وبعضها.

٢. ضرورة اعداد المتخصصين والاكاديميين بحوث ودراسات ورسائل علمية تتناول موضوع المناسبة بين السور وبعضها ومن بينها سورتي النور والفرقان.

٣. إعداد ندوات ولقاءات يتم فيها تدارس موضوع المناسبة والتناسب .

قائمـــــة المراجـــــع

١. ابن منظور، أبي الفضل جمال الدين بن مكرم الأفريقي المصري، لسان العرب المحيط، ترتيب يوسف خياط وتقديم عبدالله العلايلي ، دار الجيل دار لسان العرب ، بيروت ، طبعة ١٤٠٨ ه

٢. ابن تيمية، أبو العباس أحمد عبد الحليم الحراني، المجموع فتاوى، تحقيق: عبد الرحمن بن محمد بن قاسم، ط٢، مكتبة ابن تيمية، ١٥/١٥٧– ١٥٨.

٣. ابن كثير، أبو الفداء إسماعيل الدمشقي، السيرة النبوية، تحقيق: مصطفى عبدالواحد، دار المعرفة للطباعة والنشر والتوزيع، لبنان ، ١٣٩٦ه – ١٩٧٦م، ج ١.

٤. ابن حنبل، أحمد، مسند أحمد بن حنبل ، تحقيق شعيب الأرنؤوط وآخرين ، إشراف د.عبدالله بن عبدالمحسن التركي ، الطبعة الأولى ١٤٢١ ه ٢٠٠١ م ، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع ، بيروت ، ج ٣٦ ، تتمة مسند . الأنصار ، حديث أبي أمامة الباهلي رضي الله عنه ، رقم الحديث ٢١٢٦١٤.

٥. ابن حجر، الحافظ أحمد بن علي، فتح الباري بشرح صحيح الإمام البخاري، تحقيق وترتيب: محمد فؤاد عبدالباقي ومحب الدين الخطيب ، دار الفكر ، بيروت ، ج ٢ ، ص ٩٤ ، كتاب الأذان ، باب الدعاء عند النداء.

٦. ابن جرير الطبري، أبو جعفر محمد، جامع البيان عن تأويل آي القرآن، دار الفكر، بيروت، طبعة ١٤٠٥ ه، ١٩٨٤م، ج ٦

٧. أبو السعود، عبد رب النبي علي، التخطيط للدعوة الإسلامية وأهميته، ط١، ١٤١٢هـ / ١٩٩٢م، دار التوفيق النموذجية للطباعة، القاهرة.

٨. ابن الحبيب، محمد بن سيدي، الدعوة إلى الله في سورة إبراهيم الخليل، ط١، ١٤٠٦هـ، دار

٩. أبو الفتح، محمد، وسائل الدعوة، المعهد العالي للدعوة الإسلامية بالمدينة المنورة عام ١٤١٠ ه.

١٠. البيانوني، محمد، المدخل إلى علم الدعوة، الرياض.

١١. الجوهري، إسماعيل بن حماد، (الصحاح) تاج اللغة وصحاح العربية، تحقيق أحمد عبدالغفور عطار، ط٤، ١٩٩٠ م ، ج ٦.

١٢. حنبكه، عبد الرحمن حسن (الميداني)، فقه الدعوة إلى الله وفقه النصح والإرشاد والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، دار القلم ، دمشق ، الطبعة الأولى ١٤١٧ ه ١٩٩٦ م ، ج ١.

١٣. الخطيب، محمد نمر، مرشد الدعاة، ط١، ١٤٠١هـ / ١٩٨١م، دار المعرفة للطباعة والنشر،

١٤. الرازي، فخر الدين، (١٤٠١ه– ١٩٨٢م): التفسير الكبير (مفاتيح الغيب)، دار الفكر،

١٥. الراوي، محمد عبد الرحمن، الدعوة الاسلامية دعوة عالمية، ط ١٩٦٥م، الدار القومية للطباعة والنشر.

١٦. الزمخشري، أبو القاسم محمود بن عمر بن محمد بن عمر الخوارزمي، أساس البلاغة، ١/ ١٨٩، ط ١٣٩٩هـ / ١٩٧٩م، دار الفكر.
١٧. زيدان، عبد الكريم، أصول الدعوة، دار الفكر، بيروت.
١٨. الصحاح، فصل الواو من باب اللام ٥/ ١٨٤١، وتاج العروس من جواهر القاموس، فصل الواو من باب اللام ١٥٤/٨.
١٩. الفيروز آبادي، القاموس المحيط، تحقيق مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة، ط٢، ١٤٠٧
٢٠. الزبيدي، محمد مرتضى، تاج العروس من جواهر القاموس، دار مكتبة الحياة ، ج ١٠.
٢١. القحطاني، سعيد بن علي بن وهف، فقه الدعوة في صحيح الأمام البخاري، ج١، ط١، ١٤٢١ه، وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد، المملكة العربية السعودية.
٢٢. العصيمي، فهد، (١٤٣٣ه): الدعوة إلى الله أهميتها ووسائلها، ط١، العبيكان، الرياض .
٢٣. عابد، ابراهيم بن عبد الرحيم (١٤٢٩ه- ١٩٩٥م): وسائل الدعوة إلى الله تعالى في شبكة المعلومات الدولية (الانترنت)، جامعة الطائف.
٢٤. العمار، حمد بن ناصر بن عبد الرحمن، أساليب الدعوة الإسلامية المعاصرة، دار إشبيليا ، الرياض ، الطبعة الأولى ، ١٤١٦ه ١٩٩٦م .
٢٥. غلوش، أحمد أحمد، الدعوة الإسلامية (أصولها ووسائلها)، دار الكتاب المصري، القاهرة، ط٢، ١٤٠٧ ه ١٩٨٧م .
٢٦. المرشد، علي صالح، مستلزمات الدعوة في العصر الحاضر، ط١، ١٤٠٩هـ / ١٩٨٩م، مكتبة لينه، دمنهور، مصر.
٢٧. المعجم الوسيط، إصدار مجمع اللغة العربية بالقاهرة، ط الثانية، ١٣٩٢ ه- ١٩٧٢م، ج ١.
٢٨. مجموع فتاوى شيخ الإسلام أحمد بن تيمية، جمع وترتيب عبدالرحمن بن محمد ج ١٥.
٢٩. مسلم، رواه مسلم / في كتاب الإمارة / ج ٣٥٠٩، وفي الترمزي / كتاب العلم / ج ٢٥٩٥.
٣٠. مجلة الفرقان، وقفات فقهية، الاحد ١٩ مارس ٢٠١٧م، الكويت.
٣١. الواعي، توفيق، الدعوة الى الله " الرسالة – الوسيلة – الهدف "، ط١، ١٤٠٦هـ / ١٩٨٦م، مكتبة الفلاح، الكويت.

هوامش البحث

(١) الباقلاني، اعجاز القرآن: ٣٥.
(٢) السيوطي: أسرار ترتيب القرآن ــ المقدمة ــ ص ٤٠.
(٣) مسلم، مصطفى (٢٠٠٥م): المناسبات في القرآن الكريم، دار الفكر، القاهرة، ص ٧٨.
(٤) الغماري: جواهر البيان ١٥ ــ ١٦.

(٥) النور: ٣٥.

(٦) طاش كبرى زادة: مفتاح السعادة ٥٢٣/٢، ط دار الكتب الحديثة

(٧) الفرقان: ٢٧.

(٨) ص: ٢٩.

(٩) النور: ٦٣.

(١٠) الفرقان: ١.

(١١) الفرقان: ١.

(١٢) الفرقان: ١.

(١٣) الفرقان: ٢١.

(١٤) الفرقان: ٣٢.

(١٥) الفرقان: ٦٠.

(١٦) الفرقان: ٧٧.

(١٧) الإتقان ١٠٨/٢

(١٨) النور: ١١.

(١٩) النور: ١٢.

(٢٠) النور: ١٣.

(٢١) النور: ١٧.

(٢٢) مفاتيح الغيب ٢٩٤/٢.

(٢٣) الغماري: جواهر البيان ٩.

(٢٤) الدرر الكامنة ٧٤/٤ ــ٧٦.

(٢٥) النور: ٤.

(٢٦) النور: ٦.

(٢٧) شذرات الذهب ٣٦٦/٣.

(٢٨) ابن جزي، محمد بن أحمد بن محمد الكلبي، التسهيل لعلوم التنزيل، دار الضياء للنشر والتوزيع، الكويت، ١٤٣٤هـ- م، (٢/ ٧٥).

(٢٩) الحشر: ١٦.

(٣٠) التسهيل لعلوم التنزيل، ابن جزي، ٢/ ٧٧.

(٣١) النور: ٦٠.

(٣٢) التسهيل لعلوم التنزيل، ابن جزي، ٧٧/٢.

(٣٣) النور: ١١.

(٣٤) النور: ١٢.

(٣٥) النور: ١٣.

(٣٦) النور: ١٧.

(٣٧) النور: ١.

(٣٨) وسائل الوقاية من الوقوع في الفاحشة في ضوء سورة النور، مجلة البحوث الاسلامية، المملكة العربية السعودي، ذي القعدة، ١٤٣٢ه، ص ٣٨.

(٣٩) النور: ٢.

(٤٠) وسائل الوقاية من الوقوع في الفاحشة في ضوء سورة النور، مجلة البحوث ، ص ٣٩.

(٤١) مرجع سابق، ص ٤٠.

(٤٢) الفرقان: ١.

(٤٣) عبد العزيز، أيمن، تفسير روائع البيان لمعاني القرآن، دار الأرقم – عمان، ص ١٧٦.

(٤٤) الغماري: جواهر البيان ١٥. عبد العزيز، مرجع سابق، ص ١٧٧.

(٤٥) الزحيلي، وهبه بن مصطفى: التفسير الوسيط، ط١، ١٤٢٢ه، دار الفكر، دمشق، ص ١٤٢.

(٤٦) الفرقان: ١.

(٤٧) التفسير الوسيط ، ص ١٤٣.

(٤٨) الفرقان: ٢٠.

(٤٩) الفرقان: ٢٧.

(٥٠) البقاعي، ابراهيم بن عمر، نظم الدرر فى تناسب الآيات والسور، دار الكتب ، ص ١٩٣.

(٥١) البقاعي، مرجع سابق، ص ١٩٥.

(٥٢) الفرقان: ١.

(٥٣) القرطبي، أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري، تفسير القرطبي، الموسوعة الشاملة، دار النهضة، بيروت، ص٤١٢.

(٥٤) الفرقان: ١.

(٥٥) الانفال: ٤٠.

(٥٦) أحكام القرآن للقرطبي ، ص ٢١٤.

(٥٧) خليفة، حاجي، كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون، ج ١، العربي، ص٢٣.

(٥٨) الغزالي، أبو حامد، إحياء علوم الدين، ج٢، ص٤١٥.

(٥٩) الفرقان: ١.

(٦٠) الانفال: ٤٠.

(٦١) احياء علوم الدين ، ص ٤١٦.

(٦٢) الإمام البقاعي ومنهاجه في تأويل بلاغة القرآن، البقاعي: مصاعد النظر ١٤٢/١.

(٦٣) ابن منظور: لسان العرب ــ مادة نسب، الفيروزابادي: القاموس المحيط ــ مادة نسب ٣٢١/٩

(٦٤) الألمعي: دراسات في التفسير الموضوعي ٧٧.

(٦٥) البقاعي: نظم الدرر ١/ ٥ ــ ٦.

(٦٦) نظم الدرر للبقاعي ٦/١.

(٦٧) السيوطي: معترك الأقران في علوم القرآن ٤/٢.

(٦٨) البقاعي: نظم الدرر ١/ ٥ ــ ٦.

(٦٩) الشهري، عبد الرحمن بن معاضة، علم المناسبات، مكتبة ابن رشد، الرياض، ص ٢١٦.

(٧٠) البقاعي: نظم الدرر ١/ ٧ ــ ٦.

(٧١) الكشاف عن حقائق التنزيل، وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، ج: ١، ص: ٤٩٧، وج: ٢، ص: ١٥٣.

(٧٢) منسوب إلى قرية شهربان الواقعة شرق بغداد، وإليها ينسب كثير من أهل العلم، انظر: البرهان ٣٦/١.

(٧٣) هو: أبو بكر عبد الله بن محمد بن زياد بن واصل بن ميمون النيسابوري الفقيه الشافعي الحافظ صاحب التصانيف، رحل في طلب العلم وقرأ على الموزني وصار إماماً للشافعي بالعراق، ت ٣٢٤هـ، انظر: سير أعلام النبلاء ٦٥/١٥ ــ ٦٨، البرهان ٣٦/١.

(٧٤) السيوطي: أسرار ترتيب القرآن ص ٤٠.

(٧٥) الغماري: جواهر البيان ص ١.

(٧٦) السيوطي: أسرار ترتيب القرآن ــ المقدمة ــ

(٧٧) نظم الدرر للبقاعي ١ /١١ ــ ١٢.

(٧٨) مسلم: مباحث في التفسير الموضوعي ٦٧.

(٧٩) يعني: علم المناسبات القرآنية.

(٨٠) الكاتب: إما أن الإمام السيوطي لم يتمه أو أنه أتمه وفُقد فيما فُقد من التراث أو توارثه بعض أصحاب المكتبات الخاصة انظر: السيوطي: أسرار ترتيب القرآن ٦٠.

(٨١) أسرار ترتيب القرآن ٦٥ ــ ٦٦.

(٨٢) أسرار ترتيب القرآن ٥٩ ــ ٦٣ ــ المقدمة ــ

(٨٣) المصدر السابق ٦٧.

(٨٤) المصدر السابق ٤٠.

(٨٥) مسلم: مباحث في التفسير الموضوعي ٦٧.

(٨٦) جواهر البيان ١٥.

(٨٧) المصدر السابق ١٦.

(٨٨) المصدر السابق ١٧.

(٨٩) جواهر البيان ١٨.

(٩٠) المصدر السابق، ١٩

(٩١) جواهر البيان للغماري ١٤ ــ ١٧.

(٩٢) النبأ العظيم ١٥٨ وبعدها.

(٩٣) البرهان للزركشي ٣٧/١

(٩٤) النبأ العظيم ١٦٠

(٩٥) مباحث في التفسير الموضوعي ٦٢.

(٩٦) الزركشي: البرهان ٤٣/١

(٩٧) البقرة: ٤٠.

(٩٨) فتح القدير للشوكاني ١/ ٧٣ ــ ٧٤.

(٩٩) مباحث في التفسير الموضوعي، ص ٦٢ ــ ٦٤.

(١٠٠) الأنيس، عبد الحكيم، بعنوان : "أضواء على ظهور علم المناسبة القرآنية"، مجلة الأحمدية التي تصدر عن دار للدراسات الإسلامية (١١)، جمادى الأولى ١٤٢٣هـ، ص ٢٧.

(١٠١) المناوي: الكواكب الدرية، ٤٦٥/٢.

(١٠٢) أبو الحسن علي بن أحمد بن الحسن التجيبي المراكشي: تفسير الحرالي، دار التراث١٩٤/٤

(١٠٣) أضواء على ظهور علم المناسبة القرآنية"، ص ٢٨.

(١٠٤) فتح القدير للشوكاني ٣٣٤/٣

(١٠٥) النبأ العظيم ١٦٠.

(١٠٦) النساء: ٨٢

(١٠٧) جواهر البيان للغماري ٣ و١٤.

(١٠٨) البرهان للزركشي ٣٥/١.

(١٠٩) جواهر البيان للغماري ٢.

(١١٠) الزركشي: البرهان ٣٦/١.

(١١١) النور: ٣٠- ٣١.

(١١٢) الجصاص، أحكام القرآن، دار النهضة العربية، بيروت، ج٥ ،ص١٧٧.

(١١٣) النور: ٢٧- ٢٩.

(١١٤) النور: ٣٢- ٣٣.

(١١٥) النور: ٣٤.

(١١٦) احكام القرآن للجصاص ،ص١٧٨.

(١١٧) نظم الدرر للبقاعي ص ١٩٨.

(١١٨) الفرقان: ٧٧.

(١١٩) الفرقان: ٧٧.

(١٢٠) الانعام: ٥.

(١٢١) الفرقان: ١.

(١٢٢) التوحيدي، أبو حيان، البصائر والذخائر، ٢١٤/٢.

(١٢٣) ابن عاشور، التحرير والتنوير، المكتبة الشاملة، ص ٤٢.

(١٢٤) الأنبياء: ٢- ٣.

(١٢٥) التحرير والتنوير، ص ٤٣.

(١٢٦) الهاشمي، السيد أحمد الهاشمي: جواهر البلاغة في المعاني و البيان والبديع، بيروت: لبنان، ١٩٩٨م، ص: ٢٩١.

(١٢٧) النور: ٦٢- ٦٣.

(١٢٨) الفرقان: ١-٣.

(١٢٩) النور: ٦٣.

(١٣٠) التفسير المنير ، ص: ١٠

(١٣١) النور: ٦٣.

(١٣٢) جواهر البلاغة في المعاني و البيان والبديع ، ص ١٩٢.

(١٣٣) الاسراء: ١.

(١٣٤) النجم: ١٠.

(١٣٥) البقرة: ٢٣.

(١٣٦) الجن: ١٩.

(١٣٧) الفرقان: ١.

(١٣٨) الزرقاني، محمد، مناهل العرفان في علوم القرآن، ط١، مكتبة الباز، بمكة، ص ٧٦.

(١٣٩) النور: ٦٣.

(١٤٠) الفرقان: ١ انظر: ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، دار طيبة، ١٤٢٢ه- ٢٠٠٢م، ٣٦٢/١.

(١٤١) الدرر المنثور: ٦/ ٢٣٠.

(١٤٢) النور: ٦٤.

(١٤٣) الفرقان: ٢.

(١٤٤) النور: ٦٤.

(١٤٥) الفرقان: ٣.

(١٤٦) ابن كثير، مرجع سابق: ١/ ٣٦٤.